
عمر النص


كانت لنا أيام

عمر الناصر



أمن العدل أن يعيش على الوهم فؤادٌ يعيش في ذكراكِ

ويعيشُ الغرابُ بالورد والنور ... ويشقى المحبُّ بالأشواكِ

سَمَرُ الدهرُ عنده ... فهو لليلاتِ هواه المروّعاتِ البواكي

يتمنى ذووه لو ينسى الأمس ولكن ... هيهات أن ينساكِ !

عمر

لا تذكري الشوك...

خَيالُكِ نَدًّ فَمَنْ أَطْلَقَهْ — وطَرْفُكِ حارَ فَمَنْ أَقْلَقَهْ ؟
وقَلْبُكِ يُصْغي إِلى زَفْرةٍ — تَبوحُ بها شَفَةٌ مُطْبَقَهْ !
فَدَيْتُكِ ! لا تُرْهِقي ناظرَيْكِ — ولا تَنْبُشي الذِكَرَ المُحْرَقَهْ
شَبابُكِ فَيْضُ الربيعِ السَّخيِّ — فلا تتركي الشوكَ أَنْ يَعْلَقَهْ !
طَلَعْتِ ... فأَوْرَقَ فيَّ الشَبابُ — وهَدْهَدْتُ أَضْلاعيَ المرْهَقَهْ
وطافَ اسْمُكِ الحُلْوُ في خاطري — فلَمْ يَجْرُؤِ الفَمُ أَنْ يَنْطِقَهْ
فردَّدْتُه في الفؤادِ الشَجيِّ — فكادَ منَ الشوقِ أَنْ يُحْرِقَهْ !
وأَشْفَقْتُ منْ أَلَمي أَنْ يُفيقَ — فتكْدرَ آفاقُكِ المُشْرِقَهْ
وفي مُقْلتيْكِ نداءُ الحياةِ — فكيفَ أُحاولُ أَنْ أَخْنُقَهْ ؟

وأَلْفَيْتُني أَسْتَحِثُّ الخيالَ   وأَهْتِفُ بالأَنْجُمِ المُحدِقَهْ
وأَقرأُ في طرْفِكِ الشاعِريِّ   أَقاصيصَ أَيامِنا المورِقَهْ !

☆ ☆ ☆

فدَيْتُكِ ! كيف طويْتِ الكتابَ   وأَشْفَقَ قَلْبُكِ أَنْ يُزْهِقَه
وكيف أَفاقَ الفؤادُ الخليُّ   فَباحَ بأَشْواقِهِ المغْلَقَهْ ؟
أَأَحْلُمُ ... أَمْ هذه مُقْلتي   تُطالِعُ نَظْراتِكِ المشْفِقَهْ
وما ذاكَ ! إِنِّي أُحِسُّ الجفونَ   تفيضُ بتَسْليمةٍ شَيِّقَهْ
تكادُ تبوحُ بها الشفَتانِ   وَتفْضَحُها النَظْرَةُ المطْرِقَهْ !
أَأَخْطأْتُ - يا لَيْلَ - لمَّا رَمَيْتُ   إِليْكِ بفِلْذاتيَ الْقَلِقَهْ ؟
لماذا أُثيرُ المنى الغافياتِ   وأُوقظُ أَحْلامَنا المخْفِقَهْ
وأَنْكأُ جرْحَكِ ذاكَ العميقَ   وَأُغري خَيالَكِ أَنْ يَرْمُقَهْ !
لئنْ كنتُ أَمْقُتُ هذا الأَنينَ   فَلِمْ لا أُحاذِرُ أَنْ أَنْطِقَهْ ؟

فكمْ خاطرٍ لمْ تُطِقْهُ الضلوعُ فأرسلتُهُ زَفْرةً مُحْرَقَهْ

تَنَهَّدَ في الطِرْسِ حتى ذَوى وأوْشكَ يَمْحَقُ ما نَمَّقَهْ

أَعَدْتُ قراءَتَهُ فاكتويْتُ وكِدْتُ منَ الرَّوْعِ أنْ أَمْزِقَهْ !

فَدَيْتُكِ ! هذا لُهاثُ العذابِ تَضيقُ بهِ الأَضْلُعُ الموثَقَهْ

ولو كنتُ أَعْلَمُ كيفَ يكونُ صَداهُ ... لآثَرْتُ أنْ أصْعَقَهْ !

☆ ☆ ☆

فَدَيْتُكِ ! لا تسْأَلي لِمْ أنوحُ وأَنْدبُ أيّامِيَ المُمْلِقَهْ

أَنا ضائعٌ أَنْكَرَتْهُ الحياةُ وعافَ الطريقَ الذي أَزْهَقَهْ !

ولو كنتُ أَبْني غدي في الخيالِ لَما خِفْتُ - يا لَيْلَ - أنْ أُحْرِقَهْ

ولكنَّه ... حَفْنَةٌ مِنْ دمي وذَوْبُ حُشاشَتِيَ المُرْهَقَهْ

عَهِدْتُ بهِ للذي تَصْطَفينَ فَبدَّدَ أَعْراسَهُ الشَيِّقَهْ !

فَدَيْتُكِ ! لا تَفْرَقي إنْ زَفَرْتُ ولا تسْأَلي القلبَ مَنْ مزَّقَهْ

ولا تَذْكُرِي الشوكَ... إنّي أُرعويْتُ   وعَوَّذْتُ راحَكِ أَنْ تَعْلَقَهْ
ولو أَنَّني اُسْطَعْتُ بِعْتُ الحياةَ   وجُدْتُ بأَنْفاسيَ الرّيِّقَهْ
وجئْتُ إليْكِ أَشُقُّ الغيومَ   وأَصْدَحُ بالغُنْوَةِ المُشْرِقَهْ
وأَطْوي أَسىً... أَنْكَرَتهُ الضلوعُ   وشاءَ فؤادُكِ أَنْ أَخْنُقَهْ !

١٩٥٠

دعي لي الذكريات...

وَأَدْتُ رَغائبي وطَوَيْتُ عَهْدي
وعُدْتُ إلى الطريقِ أَسيرُ وَحْدي
أُحَدِّقُ في الفَضاءِ ... وخَلْفَ هُدْبي
خَيالُ مَواثِقٍ ورُفاتُ وَعْدِ !
يكادُ الأُفْقُ يَوْقُرُ عنْ شَكاتي
وتَعْثُرُ فيه أَفْكاري وتُكْدي
وفي عَيْنَيَّ أَشْواقٌ حيارىٰ
تَبوحُ بلَهْفتي وتَشي بوَجْدي
فَدَيْتُكِ ! قد سَئِمْتُ خَواءَ يَوْمي
ونُؤْتُ بوَحْشَتي وأَضَعْتُ رُشْدي

تَرَكْتِ لِيَ الفَراغَ فأَيْنَ أَخْطُو ؟
ومِلْتِ عنِ الطريقِ فضاعَ قَصْدي
دَعي لي الذكْرياتِ ! لَعَلَّ فيها
بَقِيَّةَ رحْمةٍ وسَرابَ وُدِّ
أُهَدْهِدُ ناظريَّ بها وأَغْفو
على حُلُمَيْنِ : مِنْ ثِقَةٍ وسَعْدِ !
فَدَيْتُكِ ! كيف أُوغِلُ في طريقٍ
يَكادُ على ثَراهُ يُخَطُّ لَحْدي ؟
حياتي نِقْمةٌ وشَجاً ويأْسٌ
فكَيْفَ أَعيشُها بدَمي وجِلْدي
تُراوِدُني . . . فَتَخْذُلُني عُروقي
وتَخْدَعُ ناظري وتُثيرُ زُهْدي

فآمُلُ أَنْ تَرُدَّ عليَّ زَهْوي
فَتَسْأَلُني الرؤىٰ : أَنقَضْتَ عَهْدي ؟

أُطَأْطِئ عِنْدها رأسي وأَمشي
بذلَّةِ قانطٍ ومَلالِ عَبْدِ !

أَخافُ من السنينِ تَفُلُّ بأسي
وتوهِنُ مِرَّتي وتشلُّ زنْدي

وأَفْرَقُ إنْ سَلَوْتُ ذَهابَ حُلْمٍ
وَقَفْتُ عليه أَشْواقي ووِدِّي !

تكادُ كآبتي تَطْغىٰ وتوري
ظَماءَ مَحاجري وأُوارَ كِبْدي

دَعي لي الذِكْرياتِ ! تَرِقُّ نَفْسي
وتَهْدَأُ ثَوْرتي ويَقَرُّ حِقْدي

وأَلتَمِسُ الحيـاةَ خِـلالَ ذِكْرى
كَتَبْتُ سُطورَها بدمي وسُـهْدي !

☆ ☆ ☆

فَدَيْتُكِ ! قد نَكَأْتِ جِراحَ قلبي
فَأَيَّـةَ جذْوَةٍ أَبْقَيْتِ عِنْـدي !
دَعي لي الذكْرياتِ ! فكَمْ ظَـلامٍ
طَفقْتُ أَبُثُّهُ أَلَمي ووَجْـــــــدي
أَلَمْلِمُ فيـــــه أَخْيِلَةً يَتـامىٰ
تَنوحُ لِخَـيْبَتي وتخـافُ فَقْدـــي
إذا هَدْهَدْتُها اضطَرَبَتْ وجاشَتْ
وكادَ زَفـــيرُها يُودي بِرُشْدي !
أَنـا هَـيْمانُ في أَوْداءِ ماضٍ
مَـلأْتُ شِعـابَـه بشَـذىً وَوَرْدِ

تَرَكْتُ به الشَبابَ وجئْتُ أَبْكي

ذُبولَ بَراعِمي وأُفولَ جَدِّي !

وكانَ هَواكِ يَمْلأُ لي حياتي

ويَبْعَثُ عَزْمتي ويُنيرُ قَصْدي

وها أَنَذا أَدِبُّ على طَريقٍ

نَثَرْتُ عليه أَشْواقي وسَعْدي !

فَدَيْتُكِ ! قد أَطَلَّ خريفُ عُمْري

فَأَيْنَ تَهَرُّبي منه وبُعْدي ؟

دَعي لي الذكْرياتِ ! فكيف أَحْيا

إذا أَفَلَ الشَبابُ وكنتُ وَحْدي ! ؟

١٩٥٠

انتظار

أَقبلي أَقبلي ... فقد عَسْعَسَ الليلُ ... وغامَ الفَضاءُ في ناظِريَّا
السماءُ الدكْناءُ تُرْهِقُ أنفا سي وتُلْقي النذيرَ في أُذُنيَّا !
أَقبلي ... فالظلامُ يُوقِرُ نفسي نَزَواتٍ ... ويوقظُ الشَجْوَ فيَّا
والرياحُ الغِضابُ تلطُمُ شبَّا كي وتدْوي خلْفَ الزجاجِ دَويَّا
والحَيا دافِقٌ ... يَطيرُ مع الريـــح ... وتجري به سَخيَّاً سَخيَّا
ونُباحُ الكلابِ يَخْنُقُه القُـــرُّ وتمضي به الرياحُ قصيَّا
أَقبلي ... فالظنونُ ياليْلَ تأْبىٰ أَنْ أُحِسَّ النُعاسَ في جَفْنيَّا
وأنا في تَرَقُّبي ... أَفتحُ البا بَ وأرْنو ... علِّي أُطالعُ شَيَّا !
أَسأَلُ الليْلَ : ما وراءكَ يا ليْـــــلُ ... وأُصْغي إلى الرياحِ حَفيَّا
أَنا في مَوْقفي تُحدِّقُ عَيْنا يَ ويسْعى بيَ الخيالُ مَليَّا
كلما مَرَّ في الدُجى ذو جَناحٍ كِدْتُ أَنِّي أَضُمُّه بِيَدَيَّا

وكأنّي أراهُ يُشفِقُ منّي فيكادُ الفؤادُ يصْرُخُ : هيَّا !
... أيُّ شيْءٍ ترىٰ أعاقك عنّي بعْد ما أرْهفَ الصدىٰ أذُنيّا ؟
أيَّ دَرْبٍ سلكْته فأضلّتْ فيه أقدامُك الطريقَ إليّا ...؟
طالَ لَبْثي ... ولم أزَلْ أفْتحُ الصدْرَ ... وأسْتقْبِلُ الظلامَ العَتيّا
كلما صحْتُ في القتامِ لِسارٍ ضاعَ صوْتي ... وماتَ في شَفَتيّا
ليت شعري ! ألَمْ يحِنْ لفؤادي أنْ يرى في الحياةِ شيئاً رَضِيّا
مزّقته يدُ الفراقِ ومرَّتْ وهو ما زالَ بالفراقِ شقيّا ..!

* * *

إيهِ ليْلايَ ! لَمْ أعُدْ أرقبُ الأفْقَ ... وإنْ كنتُ قد مَدَدْتُ يَديّا
أنا باقٍ هنا ... أجاهِدُ إخْفا قي ... وأُخْفي العَياءَ في ناظريّا
طاشَ حِلْمي وكدْتُ أفقِدُ صبْري وتجلّى الشحوبُ في وَجنتيّا !
أنا باقٍ هنا .. وقد نَصَلَ الليْـــلُ ... فرُدّي ليَ الخيالَ الغَويّا
ودَعيني لوحْدتي ... أغْلقُ البا بَ وأبكي ... فلستُ آمُلُ شيّا !!

١٩٤٩

أقوى من اليأس

شَبابَ هَوانا ! لا عَـــراكَ ذُبولُ
جَمالُكَ باقٍ والحنينُ طَويلُ
مُزِجْتَ بقلبي فِـلْذَةً إِثْرَ فِـلذةٍ
وغَلْغَلْتَ في روحي فكيفَ تَزولُ ؟
رُوَيْدَ الليالي ! ما نسيتُ شِبا كَها
ولَمْ تُخْفِها عن ناظِريَّ سُـدولُ
أَتُغْـري بِيَ السلْوانَ... والقلبُ مولعٌ
وقد أَوشَكَتْ فيه ألحياةُ تَدولُ ؟
إِذا ذُكِرَتْ ليْلىٰ أُستطارَ به الهوى
وجُنَّ أُشتياقٌ وأُستفاقَ غَليلُ !

شقيقـةَ روحي ! والحياةُ تُريبني

وُيُقلِقُني منها الغـداةَ نُكولُ

خُذي بيدي إنِّي وقفتُ عَلى الربىٰ

وحِرْتُ إلىٰ أيِّ الدروبِ أَميلُ

أُنكِّسُ رأسي والدموعُ تَواثَبَتْ

وقد أَوشَكَتْ لولا الحياءُ تسيلُ

وأَصْرِفُ أُذْني عن أُمورٍ كثيرةٍ

وفي أُذُني مِمَّـا رَوَيْتِ هَـديلُ

وأغرقُ في بحْـرٍ عميقٍ من الرؤىٰ

ويَشْغَلُني عمَّـا أُريدُ ذُهولُ

وتشرُدُ أَفـكاري إليكِ كأَنَّـما

أَهابَ بِها داعٍ إليـكِ طَويلُ

أمامي غَدٌ قَفْرٌ يكادُ يضيقُ بي

وخَلْفِيَ من ذاكَ النعيمِ حُقولُ !

وتسألُني عيناكِ : هل يخلُدُ الهوى ؟

ولِمْ لا ... إذا كانَ الإلـهُ يَقولُ ؟!

شقيقةَ روحي ! لا تَرُعْكِ ملامةٌ

ودهرٌ ضنينٌ الراحتيْنِ بخيلُ

ولا تعْبَئِي بالناس ... ما لخُرافةٍ

يقولُ بها القومُ الضعافُ سبيلُ

تراوِدُني دُنْيـــــايَ علَّ جوانحي

يخامِرُها يأسٌ أصمُّ ثقيلُ

وأَعْزِفُ عن أَشياءَ كنتُ أَوَدُّها

وأنكرُها ... والشوقُ فيَّ يجولُ !

وهيهاتَ أُصْغي للذي يزعُمُ الحجا

وهيهاتَ يمضي بالودادِ رَحيلُ !

خسِئْتَ كلامَ الناس ! ليسَ لحبِّنـا

فَنـاءٌ ، ولا للـبُرْعُمَـيْنِ ذُبولُ

لنا الحبُّ ـ دونَ الناسِ ـ والخُلْدُ والصِّبا

وللناس ـ ما نُبْقي الغـداةَ ـ فُضولُ

أَقاصيصُنا تُـرْوىٰ لمن جاءَ بعدنا

وتُـعْقَدُ أَسْمارٌ لها وفُصولُ !

وكيفَ يقولُ الناسُ : ماتَ غرامُنا

وفي كلِّ ما نُبْدي عليه دليـلُ

لنا أُفُقٌ نسْعىٰ إليــه لنلْتقي

إذا ذَهَّبَ الغيْمَ الرقيقَ أَصيـلُ

وجَدتُكِ في يوْمي وأَمْسي الذي انقضى
ولي حَيْثُما أَمضي إليكِ وصولُ
وأَغلقتُ قلبي دونَ كلِّ صَبابةٍ
فَلَمْ يَثْنِهِ عمَّا عَرَفْتِ بَديلُ
فأَنْتِ معي فيما جهدْتُ لِنَيْلهِ
وأَدركَني منـهُ وَنىً ونُحولُ
وأَنتِ معي فيما أُحاوِلُ في غَدِي
ويصْبو إليه خاطري ويَميلُ
وأَنتِ معي في كلِّ دربٍ قطعتُه
وأَنفقْتُ فيه العمْرَ وهو طويلُ
إذا أَخْمدَتْ دنيايَ كلَّ تَوَثُّبٍ
وأَوشكَ أَن يَعْرو الرِغابَ خُمولُ

تراءَيْتِ لي في كلِّ أَمْرٍ أَخافُه

فأَقبلْتُ في شوقٍ ورحْتُ أَصولُ !

* * *

شقيقةَ روحي ! لا يَرُعْكِ تجنُّبٌ

ونأْيٌ كما شاءَ الزمانُ ثقيلُ

صَباباتُنا بنتُ الخلودِ ... فما لها

وإنْ دَهِمَتْها الحادِثاتُ أُفولُ

فلا اليأسُ يَثْنيها إذا خَبَتِ المُنىٰ

ولا زَهْوُها فيما يَحولُ يَحولُ !

هوانا هو الدُنيـــا ! تَقَرُّ قُلوبُنا

إليه وتهْفو أَكْبُدٌ وعُقولُ

هوىً قَدَّسته الأَرضُ مُنذُ وجودِهِ

وحدَّثَ عنه في السماءِ رَسولُ

لئنْ رَهِقَتْ أَنفاسُنا في لهيبه

فما زالَ فيها منْ شَذاهُ ذُيولُ

يَهُمُّ بهِ الدهرُ الأَثيمُ سَفاهةً

فيرْجِعُ عنه الدهرُ وهو كَليلُ

في القَدرِ المسْطورِ كانَ قُدومُه

فكيفَ إِذا حُمَّ الفراقُ يَزولُ ؟!

١٩٤٨

غفران

أنتِ... يا من شهدْتِ مولدَ حُلْمي — وخَيالي وفكْرتي وكِيــــاني
إغْفِري لي إذا جعلتُكِ محْرا — بَ شَبابٍ مُعَذَّبٍ لَهْـفانِ
أَوْمأَتْ نحْوهُ السنونُ فلمَّا — صارَ فيها... لَمْ يُلْفِ غيرَ دخانِ!
أَنا طيْرٌ ـ يالَيْلَ ـ تاهَ مع الريـ — ـحِ وضلَّتْ في مُقْلتيْه الأَماني
لَمْ يجدْ وكْرَهُ فأَقبلَ يحْبو — مُتْعبَ الخطْوِ باديَ الخُذْلانِ
أَبصرَتْه عيْناكِ يَعْثُرُ في الثلْـ — ـجِ ويعْيا بالقُرِّ والحرْمانِ
وعويلُ الرياحِ يمْلأُ أُذْنيْـ — ـه فيصْغي إليه في إذْعانِ
كاد يقْضي... لولا إهابَةُ وُدٍّ — منكِ أَودَتْ بيأْسِه اليقْظانِ
قرَّبتْه فراحَ يحْمدُ فيها — نعْمةَ الدِفْءِ والمنى والحنانِ!

أَنْتِ ... يا مَنْ سلكْتِ غيْرَ طريقي   ورَجا غيْرَ ما سلكْتِ جَناني

إغْفري لي إذا أَثَرْتِ بيَ الشـوْ   قَ فأَسْلَمتُ للقُنوطِ عِناني .

وإذا ما سَلَوْتِني ذاتَ يَوْمٍ   وسَلا عهْدُكِ الجديدُ مكاني

وتولَّتْ يدُ الزَّمانِ بماضٍ   نقشَتْه الحيـــــاةُ في أجفاني

فاتركيني أَعُدْ إلى ظلْمةِ اليأْ   سِ وأَدْفُنْ بشاشتي وأَماني

واغفِري لي إذا بكَيْتُ وضجَّتْ   كلماتُ العتابِ فوق لساني !

أَنا غادٍ إلى الدُجى أنطوي فيـ   ـه عَلَى ما أُحِسُّ من أَحزانِ

وأُداري لهيبَها خلْفَ أَضلا   عي وأُخْفي عن العيونِ هواني

كلما غَمْغَمَ النسيمُ تذكَّرْ   تُ ... فخلْتُ النداءَ في آذاني !

☆ ☆ ☆

أَنْتِ ... يا مَنْ شهدْتِ أَجملَ حُلْمٍ   في زماني ... فكانَ كلّ زماني !

إغفِري لي إذا زُهيتُ بودٍّ   حملتْه ليَ الضلوعُ الحَواني

أَنتِ أَحْيَيْتِني وقد كنتُ أَسْعى   بخُطىً واهنٍ وقَلْبٍ جَبانِ
فإذا ما رأَيتِ إِيماضَ طرْفي   وإذا ما لمحْتِ رَعْشَ كياني
وإذا ما ذكرْتِ أَجملَ أَمْسٍ   قد وعَتْهُ صحائفُ الأَزمانِ
وذكرْتِ الشبابَ . . . والقَلَقَ الحُـ   ـيَّ . . . ورَجْعَ الحنينِ والأَشجانِ
وإذا ما رأَيْتِ ـ يا لَيْلَ ـ وجْهي   في ذُهولٍ مُحَـدِّقٍ وافْتتانِ
فاغفِري لي تَطَفُّلي وغُروري   واغفِري لي محبَّتي وحناني !

١٩٤٩

بقايا سراب

يا شاردَ العينين ! لا تنظُرِ   فليسَ في أُفْقِكَ من بارِقَهْ
الفجْرُ قد مرَّ ولم تَشْعُرِ   وغاضَتِ الأُمنيَّـةُ الدافقَهْ .
يا قبْضةَ الدهرِ خذي وانثري   ما أنتِ إلاَّ القَبْضةُ السارقَهْ
قد كانَ ما كانَ ... فلمْ يُثْمِرِ   وبَعْثرتْه ضربـةٌ صاعقَهْ !

☆ ☆ ☆

الأُفقُ مَوْصودٌ ... وهذي الرؤىٰ   تتابعَتْ في الحَدَقِ المُطْبَقَهْ
فَحُلْمٌ ماتَ ... وحُلْمٌ نأىٰ   وآخرٌ يَجْهَدُ أنْ يَلْحقَهْ
قد حدَّقَ الطرْفُ فماذا رأىٰ ؟   بقيَّـةً من صورٍ مُحْدِقَهْ
يطْمسُها اليأسُ إذا أوْمَأَ   فَتَثِبُ الروحُ لها مُشْفِقَهْ

لَمْ يُبْقِ لي الدهرُ سوى خَفْقَةٍ		أَلْمَحُها فوقَ أَديمِ الترابْ
دنوتُ لو تَنْقَعُ لي غُلتّي		لكنّها اليومَ ... بقايا سرابْ!
يا دهرُ هل نمشي إلى جنَّةٍ		أم أَنَّنا نَمضي ويمضي الشبابْ؟
الرملُ قد طالَ ... فوالهفتي		لِمْ نكملُ السيْرَ إذا القصْدُ غابْ؟!

* * *

تصوَّحَ العُمْرُ وماتَ الرجاءْ		وأنتِ في لَبْثَتِكِ الجامدَهْ...
يا نفسُ ما العيشُ وهل للبقاءْ		حقيقةٌ واحدةٌ خالدَهْ؟
الناسُ للموتِ ... فما للشقاءْ		يَحْفِزُهُمْ للحُفَرِ البارِدَهْ
ما ضَرَّ لو أَمْسكَ كفُّ القضاءْ		وعَفَّ عن بعْضِ مُنىً بائِدَهْ!

* * *

يالَهْفَةَ الروحِ خُذي من دمي		بقيَّةً لاهفةً واريَهْ
تستوفِزُ القلبَ وتُظْمي فمي		وتسْتثيرُ الذِكَرَ الماضيَهْ

قد ذهبَ العمْرُ فلا تَنْدمي   ما هو إلاَّ خدْعةٌ باليَهْ
سِيَّانِ إنْ أهلَكْ وإنْ أَسْلَمِ   ما دمتُ لا أَمْلِكُ آمالَيَهْ !

☆ ☆ ☆

يُقْلِقُكِ الغيْبُ وإنِّي أَراهْ   يهْزأُ يا نفسُ بأَوهامنا
إنْ يخْنقِ اليومَ صريرَ الشفاهْ   انْ يَصلَ الداءِ لأَرواحنا .
يا نفسُ لا يَغْرُرْكِ كنْهُ الحياهْ   ما هيَ إلاَّ نسْجُ أَحلامنا
أُسطورةٌ نحنُ ... فواهْفتاهْ   لَمْ تَبْقَ منَّا غيْرُ أَشباحنا !

☆ ☆ ☆

مِنْ حُلُمٍ نبْني ... فيا ليْتَنا   لَمْ نعْرفِ الحُلْمَ ولَمْ نَبْنِهِ
في يَقْظةِ الفجرِ نذيرٌ لَنا   يمزِّقُ الروحَ بسكِّينِهِ ...
حطَّمنا الدهرُ وما مَلَّنا   يا رجْسَ من يسْرفُ في طعْنِهِ
نحنُ حَضنَّاهُ ... ولكنَّنا   لَمْ نَجْنِ غيرَ الشوكِ من حَضْنِهِ !

لنْ أَحْدِجَ الأُفْقَ ولنْ أَرمقَهْ   فليس غيرُ القَزَعاتِ العِجافْ
إخالُهـــا أَشْرعةً مُغْـرَقَهْ   أَعْوزها الشطُّ وطالَ المطافْ .
زرْقتُــــــه فارغــةٌ مُمْـلِقَهْ   تنكرُها الروحُ ... فياللجَفافْ
الطرْفُ قد شُدَّ فمنْ أَوثقَهْ   النَجْمُ لن يطلعَ ... والليلُ ضافْ !

* * *

هناكَ في رابيةٍ مُقْفِــرَهْ   خرساءَ ... إلاَّ بومةً تنعقُ
حَفــيرةٌ فاغرةٌ مُنْكَرَهْ   تنتظـــرُ الروحَ التي تأبقُ
هناكَ يا نفسُ لنا مَقْــبَرَهْ   مقبرةٌ تحضُنُ من يزهقُ
يُلقي بها اليائسُ ما أَوقرَهْ   ويستريحُ التَعِسُ المرهَقُ !

١٩٤٧

حرمان

أتكْفُرُ بي يا شَبابَ المُنى ... وقد وَهَبَتْكَ يَداي الشَبابْ ؟
طَغَتْ كِبْرياؤكَ حتّى سَدَلْتَ ... على ناظِريَّ نِقابَ العَذابْ !
تركْتُ لكَ الزهْوَ... زَهْوَ الصِّبا ... وودَّعْتُ تلكَ الأَماني الكِذابْ
على مُقْلتيَّ يَلوحُ العَياءُ ... وتُخْني على كَتِفَيَّ الصِعابْ
وأخرسْتُ في شَفَتَيَّ اللحونَ ... وأَطْبَقَ كفّايَ فوقَ الرَبابْ
وأقبلْتُ أنثُرُ بين يَديَّ ... ثِمارَ الغُدُوِّ ومَحْلَ الإيابْ !
وأَلْفَيْتُني في عُبابِ الذُهولِ ... أُقلِّبُ طَرْفي خِلالَ السَحابْ
أُحَدِّقُ علِّي أَمَسُّ الغُيوبَ ... وأُبْصرُ ماذا وراءَ الحِجابْ !
وأهْفو إلى حُلُمٍ لا أَراهُ ... ولكنْ أُلامِحُهُ في الضَبابْ

يُطَوِّحُ بي في شِعابِ الظُنونِ — وَيَقْذِفُ بي في خِضَمِّ العِتابْ
أَفِرُّ له من لُهاثِ الحنينِ — وأَهْرُبُ من وَسْوَساتِ العِقابْ
نَفَرْتُ إليه أُريحُ الحشا — فَبَعْثَرْتُ فيه المنىٰ والرغابْ !
فَضاءٌ نَفَضْتُ عليه اليَقينَ — وضَيَّعْتُ فيه الظنونَ العِذابْ
طَفِقْتُ أُؤَمِّلُ فيه الحياةَ — فلمْ أُلْفِ غيرَ البِلىٰ والخرابْ
وعُدْتُ إلى الوهْمِ أَسْقي الخيالَ — فَغَصَّ الخيالُ وجَفَّ الشَرابْ
وكُنْتُ ازْدَرَيْتُ السرابَ الغَويَّ — فَمَنْ ذا يُعيدُ إليَّ السَرابْ ؟

☆ ☆ ☆

تَلاشىٰ الشَبابُ... ولمَّا يَكُنْ — سوىٰ وَرْقَةٍ في الرياحِ الغِضابْ
تَمَشّىٰ بها اليَبْسُ قبلَ اليُنوعِ — وأَلْقَتْ بها الريحُ فوقَ التُرابْ !

١٩٤٨

أخاف أن أنسى

يَدَ الأَيَّامِ ... كَمْ أَخْشى	عَلَى دُنْيايَ من غَدْرِكْ !
مضى الحُلْمُ ... ولَمْ يَنْجُ	سوى ماضيَّ من أَسْرِكْ
فما آثَرْتُ أَنْ أَطْغى	ولا تُقْتُ إلى سِحْرِكْ
بَلِ ارتَحْتُ إلى اليــأْسِ	وقلْتُ : أَفِرُّ من شَرِّكْ !

* * *

مضى الحُلْمُ ... ولَمْ تَبْقَ	سوى ذِكْراهُ في نَفْسي
أَخافُ أَخافُ من يوْمٍ	يُميتُ فراغُــــه حِسِّي
وأَصْحو فوقَ أَنْقاضٍ	من الأَوْهــامِ والحَدْسِ
تُذِلُّ الزَّهْوَ في حَدَقي	وتُلْقي السُمَّ في كأْسي !

تركْتُ الأَرضَ للنَّـاسِ ورحْتُ أَعيشُ في جُرْحي
فلمْ أَرْتَحْ إلى ليْـلٍ ولَمْ أَرْكَنْ إلى صُبْحِ
يريدُ الدهرُ أَنْ أَنسىٰ فهلاَّ كفَّ عن نُصْحي ؟
وهلْ أَبْقىٰ ليَ اليْومَ سوى الوَحْشةِ والقُبْحِ ؟!

* * *

أَخافُ أَخافُ أَن أَنْسىٰ ويَذْهَبَ رَوْنقُ المـاضي
وأَنْ يَسْتَيْقِظَ القلبُ على سَـأَمٍ وإرْماضِ
إذا ماهزَّه الشوقُ وأَقبلَ بعـدَ إعْراضِ
تلفَّتَ يذْكُرُ الأَمْسَ فـلمْ يَرَ غيْرَ أَنقاضِ !

* * *

أَخافُ أَخافُ أَن يَطْوي ظلامُ اليأْسِ لَيْـلاتي
ويتركني على الأَرضِ بـلا ماضٍ ولا آتِ
سَليبَ العزْمِ ... أَسْتَجْدي من الحرْمانِ أَبياتي
إذا ما أَوْمـأَ الفجْـرُ نثرْتُ عليه فِلْذاتي !

أخافُ أخافُ من عيْشٍ		تؤودُ النفسَ أعباؤهْ
وتعصفُ بالذي أَبْني		من الأَحلامِ أنواؤهْ
إذا ما قُلتُ : لن أنسىٰ		ولنْ يُفلحَ إغراؤهْ
رمتْ أشواكُهُ كبدي		وعاثتْ فيه أقذاؤهْ

☆ ☆ ☆

فديتُكَ أيها القلبُ !		أأنتَ تُراعُ من دهْرِكْ ؟
أأنتَ تخافُ أن تنسىٰ		أأنتَ تشكُّ في صبْرِكْ
لقد جدَّ بكَ النأيُ		فماذا كانَ من أمْرِكْ ؟
وقد روَّعكَ الدهرُ		فكادَ يُجنُّ من كِبْرِكْ !

☆ ☆ ☆

فديتُكَ أيها القلبُ !		فقد أذكيْتَ بي البأْسا
قهرْتَ الغمَّ ... والأيَّا		مَ ... والنسيانَ ... واليأْسا
ورحْتَ تجدِّدُ العهْدَ		وتحْضُنُ ذلكَ الأَمْسا
وكدْتَ تُسمِّرُ الدهرَ		فكيفَ تخافُ أن تنسىٰ ؟!

١٩٤٩

كيف أنسى..!

كيف أنسىٰ وأَكْفُرُ ... واللظىٰ ليْسَ يَفْتُرُ
كلَّما قيلَ : قد خَبا ... راحَ يذْكو ويَزْفُرُ !
عَبَثاً تَرْقبُ النوىٰ ... كيفَ أَسْلو وأَغْدُرُ
حُلمُ الأَمْسِ لَمْ يَزَلْ ... فوقَ جَفْنَيَّ يَخْطُرُ
يرْتوي منه ظامئٌ ... ويُواسىٰ مُحَيَّرٌ !
أَيُّها الدهرُ ! وَقْفَةً ... فأَنا منكَ أَبْصَرُ
عَبَثاً أَنتَ زاجِري ... عَبَثاً أَنتَ تُنْكِرُ
كيف أَنْسىٰ وفي دمي ... نِقْمَةٌ ليسَ تُسْتَرُ
أَنتَ أَوْدَيْتَ بالمنىٰ ... ثُمَّ أَقبلتَ تَسْخَرُ
خِلْتَ أَنِّي معذَّبٌ ... نافِدُ الصَّبرِ مُوقَرُ

تَــتراءَىٰ لِيَ النوىٰ … كلَّ حينٍ فأقصِرُ !

عَجَبًا ! أيّ فَـــترةٍ … منكَ يا دهرُ أوثِرُ ؟

حاضِري غاضَ نورُهُ … وغَدي كيفَ يُبْصِرُ ؟!

أيُّها الدهــرُ ! وَقْفَــةً … فأنا منكَ أخْـــبَرُ

كيفَ أنْسىٰ صَبابةً … لَمْ تَزَلْ فِيَّ تَهْـدُرُ

في دمائي أحِسُّهـــا … وبِدَمْعي تُسَطَّـــرُ !

كيفَ أنْسىٰ وأدْمعي … لَمْ تَزَلْ منــكَ تَهْمُرُ

كيفَ أنْسىٰ بأنَّني … كدْتُ أغْنىٰ وأظْفَــرُ

وتَطَلَّعْــتُ للحيـــا … ةِ وأقبلْتُ أنْظُــرُ

وتَراءىٰ لناظِــريـــ … ـهُ حُلُمٌ كادَ يُثْمِــرُ

نَسَجَـــتْهُ يَـــدُ المـــنىٰ … والخيـــالُ المُصَـــوِّرُ !

كيفَ أنْسىٰ ولَمْ أزَلْ … فيـــه أطْــوىٰ وأُنْشَــرُ

عِشْتُ في عُنفُوانِهِ وبه سوْفَ أُقْبَرُ !

* * *

إيهِ ليْلايَ ! كم هوىً كادَ لولاكِ يَكْدُرُ
لا تُراعي من النوىٰ فالنوىٰ ليسَ تَغْدُرُ
نحنُ إنْ عَقَّنا اللّقا والربيعُ المُنَوَّرُ
فلنا في خَيالنا موْعِدٌ ليْسَ يُخْفَرُ (١)
أَنتِ لي لا لغافِلٍ أَبْلَهٍ ليْسَ يَشْعُرُ !
إيهِ ليْلايَ ! كم يَدٍ لكِ تُرْوىٰ وتُؤْثَرُ
يكْرهُ الدهرُ أَن يرىٰ كيفَ نأسىٰ ونذْكُرُ
كلَّما خالَ زَفْرةً أو رأىٰ الدمْعَ يَقْطُرُ
قالَ : ما أَنتَ صانعٌ ؟ قلتُ : يا دهرُ أَصْبِرُ !

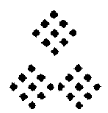
١٩٤٩

---

(١) ينقض .

أنات

لا تُراعي ! تلك دنيايَ التي ماتَ سَناها
وامَّحتْ ألوانُها الغُرُّ ورثَّتْ صَفْحتاها !
تلك دنيايَ التي أَبْدعتُ بالأَمْسِ رُؤاها
وسأَلْتُ النورَ لا يَبْرَحُ ما عاشَ فَضاها
تلك دنيايَ التي عشْتُ على وَهْمٍ رُقاها
خَنَقَتْها يَقْظةُ الجُرْحِ وسالتْ في دِماها
فإذا بالحُلُمِ المُبْدَعِ قــد جَفَّ وشاها
وإذا اليأْسُ الذي حاذرْتُ قد كانَ طواها !
عبثاً أَسْــأَلُ أَن تحيا ! فقد حُمَّ رَداها
لَطَمَتْها قبْضةُ الدهرِ وقالتْ : لن تَراها !



تَعِبَتْ روحي ! فمن يَمْلأُ بالرفْعةِ حِسِّي ؟

من تُرىٰ يُصْغي إذا رتَّلْتُ أنّاتي وهمْسي

حين تنْدى العينُ بالدمْعِ فما تكْتُمُ يأْسي

حين يأْوي الطيرُ للوكْرِ ويُطْوىٰ كلُّ نَبْسِ

أَرْمقُ الأُفْقَ وفي عَيْنيَّ أَسترْجعُ أَمْسي

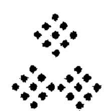
وتضلُّ العينُ في الأُفْقِ وينْأىٰ بيَ هجْسي !

عَجَباً تنْكرُني الأرضُ ! فمن يألفُ نفْسي ؟

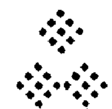
أَنا ظمْآنُ ... فهل في الناسِ منْ يمْلأُ كأسي ؟

ليْتني أَسْطيعُ أَن أَمْحُوَ بالأَدْمعِ بؤْسي

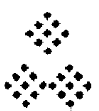
إنْ أَكُ الفجْرَ الذي مَرَّ ... فلِمْ تُشْرقُ شَمْسي !



تَعِبَتْ روحي ! فما أُبْصِرُ في الأَرضِ طريقا
سَرَبَ الوهمُ على الأُفْقِ فلمْ أُلْفِ صَديقا
الصِّبا ضاعَ مع القلبِ ... وقد كانَ رَفيقا
والرؤىٰ جفَّتْ ... فما أَلْمَحُ فيهنَّ بَريقا !
أيُّهـــا الآلُ على الرملِ ! لقد زدْتَ خُفوقا
أنتَ أَغريْتَ بيَ الشوقَ وفَجَّرْتَ العُروقا
كلَّما خِلْتُكَ ماءً ... ردَّني الرملُ مَشوقا !
عَجَباً أَيَّتُها الأَرضُ ! لقد زدْتِ عُقوقا
كلَّما قلتُ : طَفا اليأسُ .. جرى اليأسُ عَميقا
قَدَرٌ أَرْكَنُ إنْ نامَ وأَخْشىٰ أَن يُفيقا !



تَعِبَتْ روحي ! فمن يَحْمِلُ للروحِ عَزائي ؟
أَنا نايٌ في فَمِ الأَيَّامِ قد جَفَّ غِنائي
أَنا شيْخٌ لَمْ يَدَعْ منه القَضا غيرَ ذَماء
أَثْقَلَتْهُ وطْأَةُ الداءِ وبَرْحاءُ العَياء
يَقْحَمُ الدهرَ . . . فيُلْقِيهِ مُدَمىً الكِبْرياء !
عَجَباً ! واليأسُ لا يرْحمُ دائي . . . ما بقائي ؟
أَنا لولا بارِقُ الأَمسِ تَناسَيْتُ رَجائي
وخَنَقْتُ الشكْوَ في فيَّ وأَهْرَقْتُ إِنائي !
وَيْلكِ يا نفسُ ! أَما طالَ على الأَرضِ ثَوائي
لِمَ أَحْيا ؟ والعذابُ المُرُّ ما زالَ غِذائي ؟ !



لا تُراعي ! فَزمانُ الأُنسِ قد مَرَّ وَحِيًّا [1]

وانقضىٰ أَمْسِ ... فلمْ يَتْرُكْ سوىٰ الذِكْرَةِ رِيًّا .

عَبَثًا يسأَلُني الدهرُ ! فما كنتُ نَسِيًّا !

أَنا أَهواكِ . . . وإِنْ عشْتُ معَ اليأسِ مَلِيًّا

أَنا أَهواكِ ... وإِنْ لم يَبْقَ شيْءٌ في يَدَيًّا !

لا تُراعي ! أَنا ما زلْتُ كما كنتُ وَفِيًّا

فإذا ما أَقْبَلَ الموتُ . . . فلنْ أُوقَرَ عِيًّا

سوفَ أَسْترجعُ في البالِ هَوانا القُدُسِيًّا

وأرىٰ الجفنَ ـ وقد أَقْبَلَ ـ أَسْوانَ شَجِيًّا

يُطْبِقُ الهُدْبَ عليْه .. ثُمَّ .. لا أُبْصِرُ شَيًّا !

١٩٤٨

(١) سريعاً .

ماذا بقي...

يا ظَلامَ الأَقْدارِ ! رُدَّ صِبايا قبْلَ أَن تُزْهِقَ الحياةَ يَدايا
لا تُثِرْ نِقْمَتي في كلِّ عِـرْقٍ ثَوْرةٌ تَغْتَلي ولَفْحُ شَظايا !
أَغَداً يَضْفِرونَ أَشْواكَ أَيَّامي ... ويَلْقَوْنَ بالورودِ سِوايا ؟
ويُذيقونَ سالِبي قَدَحَ الخُــلْدِ ويُرْوونَ بالزُّعافِ صَدايا
أَغَداً يَعْقِدونَ لي عُقَدَ اليأسِ ويأبَوْنَ أَن يُفَكَّ مَطايا[1]
ويَعُبُّونَ من دمي فَوْرَةَ العُمْرِ ويَطْوونَ في التُّرابِ هَوايا
ويَقولونَ : فَلْتَمُتْ ! وأَراني فوقَ دَرْبٍ مُعَفَّرٍ أَتعايا !
وهو فوقَ الغُيومِ : يَلْثُمُهُ الفجرُ وتَخْضَلُّ في يديْه العَشايا

---

(١) ظهري .

وأراهُ ... في النورِ شَقَّ خُطاهُ وأنا في اللظىٰ تَدِبُّ خُطايا !

جاء هذا الضَرِيُّ ! لَمْ أَدْرِ إِذْ جاء ولكنْ رأَيْتُ فيه رَدايا

جاء كالليْلِ .. كالبليَّةِ .. كالآلامِ .. كالخوْفِ .. كالتفافِ الرَزايا

جاء والخنْجرُ الرهيفُ بكفَّيْهِ ... فَجَذَّ المنىٰ وقَصَّ جَنايا

ورَماني أَدِبُّ في شُعَبِ الأَرضِ وأَطْوي على الظَماءِ حَشايا

بَزَّني(١) ما جَمَعْتُ من بَهَجِ العُمْرِ وما وَشَّتِ الحياةَ يَدايا

صَوَّحَتْ كفُّه زَنابقَ رَوْضاتي وأَخْلَتْ من الطيورِ رُبايا

كيفَ مَرَّتْ يداهُ ياضَيْعَةَ العُمْرِ ! فَشاعَ الهُمودُ في دُنْيايا

ليْتني أَستطيعُ أَن أُبْصِرَ الغَيْبَ فأُغْريهِ أَن يَذوقَ أَسايا

وأَرىٰ هل يُطيقُ أَن يَبْلُوَ اليأْسَ .. أَمِ الغيْبُ لا يُطيقُ ضَنايا !

* * *

هو يَوْمي لا يَوْمُهُ ! فهو أَحلامي ودنيايَ وائتلاقُ مُنايا

---

(١) سلبني .

وَصِبايَ الذي تَنظَّرْتُهُ العُمْرَ ... فوالهْفتاهُ ضاعَ صِبايا !
هو فجري طَفِقْتُ أَرْقُبُ فيه لَمَحاتِ الضِيا فكانَ دُجايا
ورَبيعي حَضَنْتُ من أَجْلِهِ الريحَ وَأَرْخَصْتُ في هواهُ قُوايا
هو دمْعي سَكَبْتُهُ أَرْقُبُ الصبْحَ فلمّا دَنا أَذَلَّ بُكايا
وهو روحي أَذَبْتُها للرؤىٰ البيضِ .. فواحسْرتاهُ ماتَتْ رُؤايا !
هو حُلْمي أَوْدَعْتُهُ صُــــوَرَ العُمْرِ وغَذَّيْتُهُ لُبابَ هَوايا
وهو زهْري سَقَيْتُهُ ذَوْبَ عَيْنَيَّ ... فلمّا نَما جَناهُ سِوايا !

* * *

أَيُّها الناعِمونَ في الحَفْلِ ، في الضجَّةِ وَيْكُمْ ! لقد أَبحَّ نِدايا
أَولا تَسْمَعُونَ غَمْغَمَةَ النوْحِ ... أَلا تُبْصِرونَ نَزْفَ حَشايا
أَولا تَنْظُرونَ للشَفَقِ الباكي فإنّي خَضَّبْتُهُ بدِمايا !
أَرْقُصوا أَرْقُصوا على جَدَثِ الحُلْمِ وصُبُّوا الشَرابَ فوقَ ثَرايا
وانثُروا فوقَ أَدْمعي غَبْرَةَ اللَّهْوِ وَضِجُّوا على رُفاتِ مُنايا

أيّها الناعمونَ ! لا تقْذفوا الـكأسَ ... ولـكنْ خَلّوا عليه بقايا

اتركوها على الجفاف أذُقْها   ودَعوها تَنْعَمْ بها شَفَتايا

إنَّها لي ! فكيفَ أُحْرَمُ منْها   حينما أَوْشكَتْ تبُلُّ ظَمايا ؟!

☆ ☆ ☆

إيهِ ليْلايَ ! ما الذي كانَ في الأَمْسِ وماذا لَقيتُ في دنْيايا ؟

تلك رُؤْيا أَوَدُّ لو تُبْعَثُ اليومَ ولكنْ من ذا يُعيدُ رُؤايا ؟

عَبَثًا أَرقبُ الفضاء ! فلن أبصرَ شيئًا ولن أرىٰ إلاَّ يا

في فضائي تجوسُ أَخْيلَةُ الموتِ وفي خافقي أُحِسُّ شقايا

وعلى مُقْلتيَّ يَنْعَقِدُ اليأسُ .. ويَجْري مَعَ الدموعِ لَظايا ..!

☆ ☆ ☆

راحةُ الدهرِ تَقْذفُ البَدْرَ خَزْيانَ وتَرْمي بالنَّيِّراتِ شَظايا

تلْمُسُ الروْضَةَ السَرِيَّةَ بالكفِّ وتُلْقي بها مُنىً ومَنايا

فإذا بعْضُها غَلائلُ نوْرٍ   وإذا بعْضُها تُرابُ رَزايا !

مِلْءَ يُمْناكَ يَنْبُعُ اليُمْنُ يا دهرُ ... فَضَعْها الغداةَ في يُمْنايا

وأْحمِلِ الشوكَ الذي يسْرِقُ الحُلْمَ ويحْيا على أَنينِ الضحايا !

عَجَباً يا قَضاءُ ! يَتَّحِدُ الكأسُ ... وتبْقى السُمومُ في سُقْيايا

غَدُنا واحدٌ ! ولكنَّهُ الخُلْدُ لديْهِ ... والموتُ لي والبَلايا !

جاءَ يُزْهى ... وجئْتُ أَحملُ جُرْحي يا لَزَهْوِ المُنى ويا لَدِمايا !

تَنْطِقُ الأُمْنياتُ في فَمِهِ البَشِّ وتعْيا بنُطْقِها شَفَتايا

وهو بالمسْكِ ضُمِّخَتْ راحَتاهُ وبدمْعي أَنا ارتوتْ راحتايا

عَبَثاً يسْأَلونَ : ماخَطْبُهُ اليومَ ؟... فقد آنَ أَن تَجِفَّ رُؤايا

في غَدٍ يَدْخُلُ الربيعُ صِباهُ وأَنا في غَدٍ يَموتُ صِبايا !!

١٩٤٧

سأم

بِعيْنَيْكَ ما أَرْعَشَ الذكْرياتِ
فظلَّتْ مَواكِبُها تَخْطُرُ
تَشُقُّ الغُيوبَ خَيالاتُها
ويسْعىٰ بها اللهَفُ المُسْعَرُ
تَمُرُّ على الأَعْيُنِ الشارداتِ
فَتَهْتاجُها وهيَ لا تَشْعُرُ
وتَرْفُقُها من وراءِ الحياةِ
ظِلالٌ من الأَمْسِ لا تُبْصَرُ

فِي رِقَّةِ الجَفْنِ مِنْها رؤىً
وَفي الأُذُنَيْنِ صدىً يَعْبُرُ
يُغَمْغِمُ فيها الرجاءُ الحبيسُ
ويَنْفَلِتُ الرَهَقُ الموقِرُ
وتَهْجِسُ في غَوْرِها التمْتَماتُ
فأَسْأَلُ : مَنْ ذا ؟ ولِمْ يَنْفُرُ ؟
وتَسْرِبُ في النفْسِ أنَّاتُها
فيَلْقَفُها الخافِقُ المُنْكِرُ
يُحدِّقُ حتى يَمَلَّ الفضاءُ
ويَجْحَدُهُ الأُفُقُ الأَغْبَرُ
وتَسْرَحُ عيْناهُ عَبْرَ المدىٰ
ويَنْقُلُهُ الضَّلالُ المُفْكِرُ

أيغفُلُ عن حَشْرَجاتِ القنوطِ

وَيَنْسى الجحيمَ الذي يَزْفُرُ .

وُيذعِرُهُ أَنَّه لن يَقَرَّ

وُيذعِرُهُ أَنَّه يُذعَرُ !

وتغمرُهُ الصورُ الماضياتُ

فَيَتْبَعُها وهو يَسْتَعْبِرُ

وَيَغْرَقُ في غَبَشِ الذكْرياتِ

وَيَنْشُرُ منهنَّ ما يَنْشُرُ

رؤىً عاشَها قَبْلَ خَلْقِ الحياةِ

فكيفَ بأيَّامِها يَكْفُرُ ؟

خَيالٌ ! ولكنَّهُ في هواهُ

هو العالَمُ الأَكْمَلُ الأَكْبَرُ !

لقد سُدَّ يا قلبُ هذا الفضاء

فأيَّ فضاءٍ تُرىٰ تَنْظُرُ ؟

لقد حَطَمَ الدهرُ ذاكَ السراجَ

وكُنْتَ على ضَوْئِهِ تُبْصِرُ

وجَفَّ الشبابُ . . . شبابُ المنىٰ

وعاثَ بِهِ الهَرَمُ المُبْكِرُ

وكنتَ تُرَجِّيهِ للنائباتِ

ويَذْخُرُهُ الشغفُ المُضْمَرُ

وكانَ لنا الفُلُّ والياسمينُ

وكانَ لنا الوَرْدُ والعَبْهَرُ

فلمْ يَبْقَ يا قلبُ إلاَّ الحُطامُ

ولَمْ يَبْقَ إلاَّ لقىً أَبْتَرُ

وكانَ لنا حُلُمٌ في الحياةِ

فَبَدَّدَهُ القَــدَرُ الأَكْدَرُ

وكانَ لنـا أَمَـلٌ نَدَّعيهِ

وكانَ لنا عيدُنا الأَكْبَرُ

وكانَ لنا غدُنا السَرْمَديُّ

نَعُدُّ خُطـــاهُ ونَسْتَبْشِرُ

ونَرْمُـقُه بأَرْتِقابِ اللهيفِ

ويَرْصُدُهُ القلبُ والمَـحْجِرُ !

تَمَثَّلْتُهُ أَخْضَرَ الصفَّتَيْنِ

يَموجُ بِهِ النورُ والكَـوْثَرُ

وقد نَضَّرَتْـهُ رؤىً من هوايَ

وزَيَّنَـهُ أَمَـلٌ مُـزْهِرُ !

تَبَيَّنْتُهُ في الفضاءِ القصيِّ

وقد غَمُضَ النَّبأُ المخْبِرُ

فَأَتْبَعْتُهُ القلبَ خِفَّ الخطىٰ

يُحَدِّقُ فيه ويَسْتَبْصِرُ

فماذا رأىٰ؟ عادَ يَبْكي هواهُ

وغَمْغَمَ: مَهْ... إنَّه مُقْفِرُ!

☆ ☆ ☆

أَلَيْلايَ! ماذا وراءَ الفضاء

أَنَخْلُدُ في اليأسِ أمْ نَظْفَرُ؟

وما الغَدُ؟ ما نحنُ؟ ما الأُمْنياتُ

وأيُّ مَصيرٍ لنا يُذْخَرُ؟

أأحْيا ؟ ومَنْ قالِ : إنَّ الحياةَ

من الموتِ أَو صِنْوِهِ تُثْمِرُ ؟!

رَمادٌ أَنا بَدَّدَتْهُ الرياحُ

فهلْ أَسْتَقِرُّ وهلْ أُنْشَرُ ؟

وكيفَ ! أَيَرْجعُ ذاكَ الشبابُ

وقد ضَمَّهُ جَدَثٌ أَغْبَرُ !

أَآمُلُ أَنْ تَسْتَجِدَّ الحياةُ

ويَخْضَوْضِرَ الأَمَلُ المُدْبِرُ

وقد كنتِ أَنْتِ الربيعَ السَرِيَّ

فهيهاتَ يورِقُ أَو يَنْضَرُ !

أَآملُ أَلاّ يَهيجَ العُبابُ

ويَنْقَلِبَ الزوْرقُ الموقَرُ

وأَنْتِ الذراعُ التي قد هَدَتْهُ

فكيفَ إذا غبْتِ لا يَعْثُرُ ؟!

أَآملُ أَلاّ يُجَنَّ الفؤادُ

وقد راعَه القَدَرُ الأَزْوَرُ

وقد كنتِ أَنْتِ الأَمانَ الخَفِيَّ

فكيفَ إذا شَطَّ لا يُذْعَرُ ؟!

أَآملُ أَنْ تُونِعَ السُنْبُلاتُ

ويَشْتَجِرَ الوَرَقُ الأَخْضَرُ

وكيف ! وقد جَفَّ فيها البلالُ

ورَوَّعَها عاصِفٌ صَرْصَرُ ؟!

أَآملُ أَلاّ أَرىٰ الذكْريا

تِ .. إذْ يَجْهَشُ القلبُ أَو يَزْفَرُ

وما الكونُ إنْ أنا أنْسيتُها ؟

وما أنا ... إنْ كنتُ لا أذْكُرُ ؟

أآملُ ألاّ يَنوءَ الشبابُ

ويُدْرِكهُ الشَّظَفُ المُقْترُ

وكيفَ ! وقد أرْهَقَتْهُ الهمومُ

وكنتِ النعيمَ الذي يُؤْثِرُ

وقد كنتِ أنتِ حياةَ الحياةِ

فكيفَ أقَــرُّ ولا أنْفِرُ ؟

وكانَ صِباي على ناظريْكِ

وقد ضَلَّ عنكِ ! فهل أصْبِرُ ؟

١٩٤٧

في الليل

جُنَّ الظَّلامُ وأَقْفَرَ الدَّرْبُ فإلامَ تُدْلِجُ أيُّها القَلْبُ ؟
الليلُ يُرْعِبُ والرؤى رُعِشَتْ وأَراكَ : لا رَعَشٌ ولا رُعْبُ !
عيْناكَ عُلِّقَتا على أُفُقٍ يَثِبُ الخيالُ به ويَخْتَبُّ
ورؤاكَ غامِضَةٌ مُغَلَّقَةٌ طوْراً تُضيءُ وتارةً تَخْبو !
جُنَّ الظَّلامُ ! فما أَبِهْتَ به وعَوى الصَّدى وتَفَزَّعَ الهَضْبُ
أَفأَنْتَ روحٌ في الظلامِ سرى أَمْ قد حَبَبْتَ وعَقَّكَ الحُبُّ
أَمْ أَنتَ تِمْثالُ العذابِ مَشى أَمْ أَنْتَ مِنْ فَزَعِ الدجى سِرْبٌ ؟
يا لَيْلُ ! لستُ بشاربٍ قَدَحي إني أخافُ يُميتُني الشُّرْبُ !
أَنا أَنَّةٌ خرساءُ باكيَةٌ نُفِضَتْ على شَهَقاتِها الحُجْبُ
جُنْحٌ من الليْلِ البهيمِ هوى لا تائِهٌ يبْكي ولا صَبُّ !

جُنَّ الظلامُ واستُ أَرْهَبُهُ أَنا منهُ وهو كِياني الرَحْبُ
تَهْدارُه يأسي ... وظُلْمَتُهُ قلبي ... ورَجْعُ رِياحِه نَدْبُ
هَدَرَتْ وَساوِسُهُ ! فقُلْتُ لها : لا أَنْتِ مُفْزِعَةٌ ولا النَّكْبُ
الريحُ تعْرِفُ كيف أَحْضُنُها والليْلُ يعْلمُ أَنني حَدْبُ !

☆ ☆ ☆

يا ليْلُ قَدْكَ ! فأَيْنَ تذْهَبُ بي لا أَنتَ تَرْأَفُ بي ولا الشُّهْبُ !
عَبَثًا أَهيمُ فليسَ في أُفُقي إِلاّ الأَسى والوهْمُ والكَرْبُ
لا شيْءَ يُومِئُ لي فأَتْبَعَهُ ويَشيعُ فيَّ خُمارُه العَذْبُ
الأُمْنياتُ ذَوَتْ ! فوالهَفي ماذا يُؤَمِّلُ بعدها اللُّبُّ !
قَلَقُ الفراغِ يُشيرُ بي قَلَقي فأَكادُ أَصْرُخُ : مُتُّ يا رَبُّ !
الشوكُ في درْبي وقد عَصَفَتْ بالأُمْنياتِ زَعازِعٌ نُكْبُ
والفَيْءُ يَقْبِضُ ... لا يُظَلِّلُني أَتَراهُ هَمَّ فَردَّه الرُّعْبُ ؟

إني وَأَدْتُ رَغائبي وَدَدي[1] | وَرَجَعْتُ : لا أَمَلٌ ولا رَغَبُ
تَتَزاحَمُ الزَّفَراتُ مِلْءَ فمي | ويموتُ خلْفَ شِفاهِيَ العَتْبُ
وتَمُرُّ بي الذكْرىٰ فأَتْبَعُها | ويَقَرُّ فوق رَفيفِها الهُدْبُ
يَتَوَثَّبُ القَلَقُ الحبيسُ لها | ويموتُ فوق سَرابِها الوَثْبُ
وأسيرُ أَرْقُبُها وفي كَبدي | نارٌ ومِلْءُ أَضالعي حَرْبُ
وأَنْهَنِهُ العيْنَ التي طُرِفَتْ | حَذَرَ البكاءِ .. فَيَذْرِفُ القَلْبُ!

☆ ☆ ☆

يا ليْلُ كنتَ وكانَ لي أَمَلٌ | أَسْعىٰ إليه .. فَخانَني الدَّرْبُ
فإذا الطريقُ يَضيقُ بي وإذا | بالدَّمْعِ فوق تُرابِهِ سَكْبُ
وإذا بأَطْيافِ الرؤىٰ مِزَقٌ | والحُلْمُ حينَ أَفيتُهُ نَهْبُ !
الروْضُ جَفَّ ! فليس يَجْذِبُني | أَينَ الشذىٰ يا ليْلُ والعُشْبُ ؟
إني لأَذْهَلُ .. ثُمَّ يوقِظُني | أَني ضَلَلْتُ وفاتَني الرَّكْبُ

---

(١) لهوي .

بالأمس أغدق منبعي وجرى — واليومَ غاضَ وأَجْدَبَ التربُ
قد جئتُ للدنيا وبي مرحٌ — وَرَجَعْتُ يَهْصِرُ روحيَ الخطْبُ
وضحكتُ في يفع الصِّبا .. فنأى — عنّي الشبابُ ... وأَقْفَرَ اللُّبُّ
وفتحْتُ للأنوارِ أُفْقَ غدي — فإذا الدُّجُنَّةُ فيه تَنْصَبُّ
أقبلْتُ أَلْمُسُهُ فردَّ يدي — وعلى أناملِها دَمٌ سَرْبُ
حُلُمٌ قُتِلْتُ به ! فيا كبدي — إنْغَرْ جراحَكَ .. إنَّه القلْبُ
لَمْ يبقَ فيه من الحياةِ سوى — رمَقٍ يجِفُّ وومْضَةٍ تخْبو !

١٩٤٧

رُؤْيَة

إذا ما اُحلَوْلَكَ الليلُ ... وغُمَّ فَضاؤه الأَكْلَحْ
وراحَ الكوْكبُ المذْعو ... رُ في أَنحائِه يَسْبَحْ
وَوَدَّ القلبُ لو يَزْهَـ ... ـقُ هذا الليْلُ أو يَبْرَحْ
تذكَّرْتُ رؤىٰ الفَجْرِ الـ ... ـذي كُنَّا به نَمْرَحْ
فإذْ بالليْلِ قـد ضاءَ ... وهَمَّ القلبُ أنْ يَصْفَحْ !

☆ ☆ ☆

وإنْ أَزْرىٰ بيَ الدهْرُ ... وأَهْرَقَ خَطْبُه كأسي
وضاقَ الصدْرُ بالقَلَقِ الـ ... ـذي يكْمُنُ في حِسِّي
تذكَّرْتُ .. وما أَكْثَـ ... ـرَ ما أَذْكُرُ من أَمْسي

رؤى الحُلْمِ الذي أَدْبَـ ـرَ بالبَهْجَـةِ والأُنْسِ
فإذْ بالدهْرِ قـــد قَـرَّ وشاعَ الأَمْنُ في نَفْسي !

* * *

وإمّا عَضَّـــني الفَقْرُ وأَرْهَقَ كاهِلي دَيْنـا
وأَقْفَرَتِ الدّروبُ فما أرى صَعْباً ولا هَيْنـا
وضاقَ العَقْلُ بالقلْبِ وصاحَ به : إلى أَيْنـا ؟
تذكَرْتُ غِنى الحُبِّ الـ ـذي يَغْـمُرُ قَلْبَيْنـا
فإذْ بالأَرْضِ والأَحْيـا ءِ لا شَيْءَ بِعَيْنَيْنـا !!

١٩٤٨

موعد من السماء

أَيُّهذا القَلَقُ المشْبوبُ في القلبِ : تَرَفَّقْ !
غَمَرَتْني مَوْجةٌ تطْفَحُ بالوَجْدِ وتَفْهَقْ
تتراءى بالهوى المظْنونِ والوهْمِ المُلَفَّقْ
كُلَّما طالَعْتُها ضَجَّ بيَ الشوْقُ وأَحْدَقْ !

☆ ☆ ☆

لستُ بالمُبْصِرِ شيئاً ! غيرَ أَنِّي في اضطرابِ
يَترامى قلْبيَ الظمْآنُ في كلِّ سَرابِ
وأَنا في غَمْرَةِ الأَشواقِ لا أُدْرِكُ ما بي
أَتَظَنَّى ... فيلذُّ القلبَ ظَنِّي وارْتيابي !

وإذا وَجْهُكِ في الأُفْقِ حَيٌّ يَتطَلَّعْ
وعلى أَهْدابكِ الوُطْفِ خيالٌ يَتمَنَّعْ
والمنىٰ في طَرْفكِ الحائرِ ظَمْأىٰ تَتدَفَّعْ
تَرْمُقُ الحُلْمَ الذي عاثَ به الدهرُ فَتدْمَعْ !

☆ ☆ ☆

أَيُّها الطَيْفُ الذي يَعْبُرُ دُنْيايَ ويَجْري !
ها هنا القلبُ الذي أَصْفَيْتَهُ أثمنَ ذُخْرِ
لَمْ يَجِدْ بعدكَ ما يَحْلو من العيْشِ ويُغْري
وَدَّ لو يَعْلَمُ لِمْ يَبْقىٰ... ولكنْ كيف يَدْري ؟

☆ ☆ ☆

وتَرَفَّقْتُ بقلبي ... وتَتَبَّعْتُ خُطـاكِ
أَحْبسُ الأَدْمعَ في الجَفْنِ وأَمشي في ارتباكِ

كُلَّما حَدَّقْتُ في الأُفْقِ تَراءَيْتِ هُناكِ
وكأنِّي لا أرىٰ في زَحْمةِ الكَوْنِ سِواكِ !

* * *

لَيْلَ ! هذا مَوْعِدٌ .. لكنَّه من صُنْعِ رَبِّي
قَدَّرَتْهُ يَدُهُ البيْضاءُ في لَحْظَةِ حُبٍّ !
قالَ لي الروحُ وقد أَشْفَقَ أَنْ يَطْفَحَ كَرْبي
أَتَراها ..؟

قُلْتُ : في عَيْني وأَحْلامي وقَلْبي !

١٩٤٨

من الأعماق

أَيُّها النَّجْمُ ! دُمْتَ في إِشراقِ جُنَّ صَبْري فهلْ تَحُلُّ وَثاقي ؟
أَمَلي في السماء والجِسْمُ باقٍ فوقَ أَرْضِ الهمومِ والإِرْهاقِ .
كَذَبَ القلبُ ! أَيْنَ ثَوْرَةُ يأْسٍ فيه تودي بالجُبْنِ والإِشْفاقِ
أَتُراني تَرَكْتُ خلفَ خُطى الأَيَّامِ دُنْيا شَبابِيَ الدَفَّاقِ
أَمْ رأى الدهرُ أَن أَموتَ وفي القلْبِ بَقايا تَنَدُّمٍ واحتراقِ !
يا لَنَفْسي ! أَكادُ أُنْكِرُها اليَوْمَ ولكنْ ماذا يُفيدُ إِباقي ؟
غَيَّرَتْها السنون فهيَ حُطامٌ من بقايا الشجونِ والأَشْواقِ
أَنْغَضَتْ رأْسَها وقد قَهْقَهَ الدهرُ وأَصْغَتْ إِليه في إِطْراقِ
وَيْحَها وَيْحَها ! أَلا تَنْبُذُ الجُبْنَ وتَقْضي على السنينَ البواقي

وَيْحَها لا تثورُ ! والأَلَمُ الجارفُ يَجْري في غَوْرِها الخفّاقِ ؟

أَتُراها تَمَلُّ من خمرةِ الأَمْسِ وتَسْهو عن الرَّحيقِ الباقي

أَمْ تُراني بها أُكَفِّرُ عن حُلْمٍ خَفِيٍّ يَقَرُّ في أَعْماقي ؟!

☆ ☆ ☆

أَيُّها النَّجْمُ ! دُمْتَ في إِشْراقِ جُنَّ صَبْري فَمَنْ يَحُلُّ وَثاقي ؟

اللّيالي لَمْ تُبْقِ مُذْ عَلِقَتْني غيرَ يأسٍ في القلبِ غيرِ مُطاقِ

خَنَقَتْ كلَّ رَغْبَةٍ فِيَّ حتّى ما أرىٰ في الحياةِ غيرَ نِفاقِ !

شَعَّثَتْ كلَّ ما رَسَمْتُ من الحُلْمِ وأَوْدَتْ بِوَهْمِيَ البرّاقِ

وَطَوَتْ في ظَلامِها حُلُمَ العُمْرِ وأُنْسَ القلوبِ والأَحْداقِ !

عَبَثاً أَحْدِجَ الفضاء ! فما أُبْصِرُ غيرَ السُّكونِ والإِمْلاقِ

لا خيالٌ أَمامَ عَيْنَيَّ يَسْعىٰ لا .. ولا مُنْيَةٌ وراء المآقي

بل فَراغٌ تَضِلُّ في تيهِهِ الروحُ وتَعْيا بِقَطْعِه أَشْواقي

كلّما أوْغلَ الخيالُ تراءتْ فوقَ عيْني كآبةُ الإخْفاقِ
وكأنّ الزمانَ أغْلقَ دوني كلَّ بابٍ تخالُ منه انطلاقي !
أيّها النجْمُ ! أيّ شيْءٍ تُرى يكمُنُ خلفَ الغيومِ والآفاقِ ؟
الهزارُ الحزينُ لنْ يَعْبُرَ الغابَ ويُصْغي لِغمْغَماتِ السّواقي
الزمانُ العتيّ شلّ جناحيْهِ وأغرى يدَيْهِ بالأطْواقِ !
أيّها النجْمُ ! لن نعودَ لعهْدٍ كانَ دُنْيا من الرجاءِ الدّفاقِ
أنا ذاوٍ غداً إذا ذَوِيَ الورْدُ ومرّ الخريفُ بالأوْراقِ
نازفٌ من دمي بقيّةَ حُلْمٍ خلّفتْها الأيّامُ في أعْراقي !

☆ ☆ ☆

أيّهذا الخريفُ ! لا أرْهَبُ الريحَ .. فعُدْ بالغيومِ والإبراقِ
الربيعُ الذي أؤمّلُ ولّى في ذُهولٍ ورِقْبَةٍ واشْتياقِ !
أنا شيْخٌ أدِبُّ في شُعَبِ الأرْضِ وأهْذو بغُرْبتي وفِراقي

أَنْزوي في الحياةِ .. أَذْكُرُ دُنْيايَ .. وأَحْيا في الأُمْنياتِ العِتاقِ
أَنْشُرُ الذكْرياتِ بين يَدَيْ يَوْمي وأَرْنو لهنَّ في اُستغْراقِ
وعلى المُقْلتيْنِ نظْرةُ يأسٍ خَلَّفَتْها الكروبُ فوق حِداقي !
أَنا شَيْخٌ أَمُرُّ بالأَرضِ سأْمانَ وأَطوي الحياةَ في إِشْفاقِ
وأَرىٰ الحُلْمَ كيف يَفْنىٰ على الجفْنِ وتخْبو رُؤاهُ في أَعْماقي !
أَيُّهذا الخريفُ ! عُدْتَ إِلىٰ الأَرضِ .. فماذا لَقيتَ في آفاقي ؟
كلُّ شيْءٍ قد ماتَ ! غيرَ حَنينٍ خالدٍ في دمي وفي أَحْداقي !

١٩٤٨

هباء

فَضاؤكَ مُرْبَدٌّ وأُفْقُكَ مُغْلَقُ
وَلَيْلُكَ مُمْتَدٌّ ... فأَيْنَ تُحَدِّقُ ؟
وأينَ تُرى تمضي وقد هَلَكَ الضِّيا !
أَلِلغيْبِ ؟ إنَّ الغيْبَ خافٍ مُغَلَّقُ !
حياتُكَ أَهْوالٌ فكيف تجوزُها
ودرْبُكَ أَشْواكٌ ، وصدْرُكَ ضَيِّقُ
وهُدْبُكَ مَذهولُ الرُّعاشِ كأنَّه
على دَمْعَةٍ حرّى يَرِفُّ ويُطْبِقُ !
أَراكَ اُجتَوَيْتَ الكائناتِ وعفْتَها
وأَقبلْتَ تخْطو في الظلامِ وتطْرُقُ

تَظَلُّ تُغِذُّ السَّيْرَ هَيْمانَ لا تَعي

وطَرْفُكَ في الأُفْقِ القَصيِّ مُعَلَّقُ

فَتَقْرأُ في رُحْبِ الفضاءِ صَحائفاً

يَضِجُّ لها باكٍ ويَزْفُرُ مُصْعَقُ

وفي الدرْبِ أوْراقٌ تكادُ تقولُ لي :

هو العُمْرُ أَوراقٌ تجِفُّ وتُسْحَقُ !

وأَنَّتْ بأذْنَيَّ الرياحُ كأَنَّهـــــــا

صدىً ذكرياتٍ كانتِ الأمْسِ تَنْطِقُ

وفي الدَّغَلِ المُلْتَفِّ غَمْغَمَ طائرٌ

وهَيْنَمَ خُفّاشٌ وأَنَّ مُطَوَّقُ

وفي وَسْوَساتِ الماءِ يَخْتَلِطُ الصدىٰ

فَيَنْبَعِثُ الشجْوُ العميقُ ويَدْفُقُ

يكادُ إذا أَصْغَيْتُ يَزْفُرُ بالأَسىٰ
فأُشْفِقُ منه فوقَ ما كنتُ أُشْفِقُ !

مَدىً تَرْتَمي فيه الظُّنونُ وتَنْتهي
ويَنْعَدِمُ الحِسُّ الكليلُ المُوَثَّقُ

هُناكَ وراءَ الأُفْقِ تَلْتَمِعُ الرؤىٰ
وتَسْتَيْقِظُ الروحُ التي تَتَشَوَّقُ

فَضاءٌ يَضِلُّ القلبُ فيه طريقَه
فَيَقْتادُهُ الشوقُ الخَفِيُّ المُؤرِّقُ

إلىٰ عالَمٍ ما إنْ تُحَسُّ حُدودُه
تُحَلِّقُ فيه الذكرياتُ وتَخْفِقُ

يَحُطُّ به المكْدودُ ثِقْلَ حياتِه
ويَسْتَرْوِحُ الخَفْضَ الشبابُ المفَرَّقُ

وتنبضُ أحلامٌ وتحيا مشاعرٌ

وينفلُ أسوانٌ ويهدأ مُرْهَقُ !

* * *

إلى أينَ أمضي يا زمانُ ! فإنّني

أراني في فكّ الحياةِ أمزّقُ

ففي جَدَدِ الأيّامِ مني حُشاشةٌ

وفي طُرُقِ الأحداثِ حُلْمٌ ومنطقُ !

إلى أينَ أمضي ؟ إنّ في الدربِ ظلمةً

يُراعُ لها القلبُ الشقيُّ ويَفْرَقُ

إذا سِرتُ أضواني الحنينُ وهدّني

وساءلني قلبي : إلى أينَ تُعْنِقُ[1] ؟!

---

(١) تسرع .

إلى أَيَنَ ! يا للسْخْرياتِ .. أَأَيَنَ لي ؟

وأَينَ ... لمن يدري مداهُ ويسبقُ

وأَيَنَ .. لمن عاشتْ أَمانيه وارتوىٰ

وزَيَّنَ دنياهُ الرجاءُ المحَقَّقُ

وأَينَ .. لمن تَصفو رُؤاهُ فلا يرى

سوىٰ النورِ في أَيّامِهِ يتأَلَّقُ !

إِلى أَينَ يا قلبي ! لقد وَقَبَ الدجىٰ

وأَنتَ إِلى ما لستُ أَدري تُحَدِّقُ !

لكلِّ امرئٍ يومٌ يَلُمُّ شَتاتَه

وأَنتَ من الأَيّامِ شِلْوٌ مُمَزَّقُ

فلا أَنتَ في ماضٍ ولا أَنتَ في غَدٍ

ولا يومُكَ اليومُ السعيدُ المُوَفَّقُ !

أأنتَ الذي أَفْنَيْتُ فيكَ فُتُوَّتي

وأنفقْتُ أيّامي له أَتَحَرَّقُ

وخِلتُكَ دنْيا لا يُحَدُّ جمالُهـا

ظلامُكَ أضواءٌ وقُبْحُكَ رَوْنَقُ

إذا جئتُها كفَّ الفؤادُ عن البُكا

وهُدْهِدَ مَيْؤوسٌ وأَبْشَرَ مُطْرِقُ !

أأنتَ ! أَم الحُلْمُ الذي قد نسجتُه

فلمّا انتهى .. أبصرتُه يَتَخَرَّقُ

لقد شَوَّهَ الدنيا قضاءٌ أصابَها

فلمْ يَبْقَ إلاّ ذابلٌ أو مُحَرَّقُ

وماتتْ مُنىً غَذَّيْتُها بحُشاشتي

وكنتُ لها أحيا وأزهى وأورِقُ !

أأنتَ ! أم الماءُ الذي قد تَبِعْتُه

فإذْ هو آلٌ أَسْتَقيه فيأبَقُ !

لقد مَحَت الأقدارُ ما خَطّت المُنى

وأخْلَقَ حُلْمٌ كنتُ من قَبْلُ أَخْلُقُ

فلا تُغْرِني يا دهرُ ! أنتَ مُلَفَّقُ

فما أنا ؟ ما الأيّامُ .. إن كنتَ تَصْدُقُ ؟

هَباءٌ هي الدنيا ! هَباءٌ هي الرؤى !

هباءٌ هباءٌ كلُّ ما أنا أَرْمُقُ !

١٩٤٧

في لهيب الذكرى

لكِ قلبي ! فَهَدْهِـديهِ قليلا قبل أَن يَنفُضَ الحياةَ مَـلولا

وأَجيلي يَدَيْكِ في صَدْرِه الدا مي ومُسّي جَناحَه المشْلولا !

لكِ قلبي ! فَمَنْ أَضَلَّكِ عنـه وثَنىٰ ذلك الخيـالَ طَويلا ؟

إيهِ ياذكرياتُ ! يامَوكبَ الأَمْـ سِ ! وياظِـلَّه الذي لن يَحولا

إيه ياذكرياتُ ! لا تُنكِري القلْـ بَ ولا تَحْرِمي الفؤادَ دَليلا

أَنتِ بُقْيا الرحيقِ في شَفَةِ الكأْ سِ فَهلاَّ نَقَعْتِ منه غليلا ؟ !

رَفْرِفي في الخيالِ يَهْفُ لكِ العُمْـ رُ وتَنْعَمْ بكِ الجفونُ قليلا

وخُذي دَرْبَكِ النَّديَّ إلى القلْـ بِ وشُقّي إلى رُؤاه سبيـلا

هو مَأْواكِ ! فامْنَحي رُكْنَه النّو رَ وبُثّي به النعيمَ شُكولا

باتَ يرْعاكِ والأسى مِلْءُ عَيْنَيْـ ـهِ ! فطوبى لقد وَجَدْتِ خليلا

كُلَّما قيل : عابِرٌ ! حَدَجَ الأُفْـ ـقَ وأجرى على صِباكِ سُيولا !

☆ ☆ ☆

هو عامٌ قد مَرَّ ! لكنّه مَـ ـرَّ وأبقى في المُهْجَتَيْنِ نُصولا

هو عامٌ حَطَمْتَ يا دهرُ فيه كلَّ ما كانَ لي رجاءً وسولا

ونزَعْتَ النعيمَ . . والأمَلَ الحـ ـيَّ . . وصغْتَ العذابَ لي إكليلا

كنتُ منه بمَوْعِدٍ ! أتْرِعُ الكأ سَ وأُلْقي الغناءَ والتهليلا

وأهيلُ الترابَ فوق رؤى اليأ سِ وأسْتَقْبلُ الربيعَ الظليلا

فإذا بالزمانِ يَصْفَعُ دُنْيا يَ ويَهْوِي على غدي تَقْتيلا

وإذا بي أهيمُ فيه مع الوَحْـ ـشِ وأحيا مُشَرَّداً مَخْبولا !

قَبّحَةَ العامِ ! وَيْكِ لا تَنْهَري العُمْـ ـرَ ولا تَنْبُذيه شِلْواً عليلا

أنتِ لم تَقْطعي الزمانَ ! ولكن أنتِ حَطَّمْتِ أكْبُداً وعُقولا !

إيهِ ياذكرياتُ ! عُدْتُ إلى القبْـ ـرِ أنادي .. فهل أشيمُ خليلا ؟
جئتُ دنيا الفناء أحمِلُ جُرْحي علَّ فيها عن الحياةِ بَديلا
ضَجَّتِ الأرضُ حين لحتُ وماجَتْ وشكا أهلُها قَبيــلاً قبيلا :
مَنْ تُرى واقفٌ ! يُقلقِلُ نُعْما نا ويُغْري بنا العذابَ الوبيلا ؟
لا تُراعي يا أرضُ ! فالقلبُ قد هُـ ـدَّ .. فَرِفْقاً وإنْ ضَجِرْتِ قليلا !
لا تُراعي ! فليس غــــير شَقيٍّ يَشْرَبُ الدمعَ بُكْرةً وأصيلا
جاءَ يبكي على تُرابِ أبيه ويُرَوِّي الثرى دَماً مَطْلولا !
إيهِ ياقبرُ ! كيفَ أرجِعُ للدُّنْـ ـيا .. وقد خلَّتْكَ الغداةَ مَقيلا ؟
أولا تذكُرُ الفــؤادَ الذي جُـ ـنَّ .. ألا تُبصِرُ الوجومَ الثقيلا
وارْتمائي عليكَ أشكو إلى اللـ ـهِ وأبكي شبابيَ المقتولا !
أيُّها القبرُ ! سَلْ حَشائشَكَ الخضْـ ـراءَ تُنْبِئْكَ عن بُكايَ طويلا
شَرِبَتْ من دَمي ! وعَبَّتْ دُموعي ورَمَتْني على الثرى مَخْذولا !

يا لَروحي ! يَمُـرُّ في بالِها الأمْـ ـسُ فَيُحْيي لها الرجاءَ القتيلا

صُوَرٌ تُسْعِرُ الحنينَ فيمضي قَلَقاً واريًا وأَمْنــاً ضئيلا !

هو ذا الرَّوْضُ ! والندىٰ يَلْثُمُ الزهْـ ـرَ ويُدْمي شِفاهَه تَقْبيــــلا

والغديرُ الدَفَّاقُ يَهْمُسُ أَنْ هُـ ـبَّ .. فأَهْوي عليه نِضْواً كليلا

أَسأَلُ القلبَ : هل نعودُ ؟ فَيُغْضي دامِعَ الجفنِ واجماً مَخْبولا !

عَجَبًا يا قضاءُ ! كيفَ مضىٰ الأَمْـ ـسُ وما زالَ في هَوايَ مَثولا

غابَ عن ناظري وما زلتُ أَحيا في رُؤاهُ مُخَبَّــلاً مَذْهولا !

أَتُراني ضلَلْتُ دَرْبي إليــــه أَم تَخِذْتُ الوهمَ الغَويَّ دليـــلا

أَم تُراني عَشَوْتُ ، وانْقَلَبَ العُمْـ ـرُ ، وعادَ اليقينُ شكًّا ثقيلا ؟

أَوَأَهْذي ؟ أَم تلكَ صَرْخَةُ روحٍ وَجَدَتْ حُلْمَها المُنيفَ طُلولا !

وَيْلَكَ ياقلبُ! كيف لا تُنْكِرُ الأَرْ ضَ وقد أَثْقَلَتْ يدَيْكَ كُبولا ؟

ما الذي يَرْسُمُ الخيالُ على أُفْـ ـقِكَ حتّى تَخالَه مَعْقــولا ؟!

أنا مَيْتٌ وإنْ جَهِلْتَ ! وَوَهْمٌ   لن ترىٰ ما حَيِيتَ لي تَأويلا !

* * *

إيهِ يا ذِكرياتُ ! هل يَرْجِعُ الأَمْـ   ـسُ ويَمْحو عَذابِيَ المَوْصولا ؟

أَتُراني أَزيحُ أَسْـــــدالَ رُؤْيا   يَ فَأَلْقِي جَمالَه المَغْـــــلولا

ويَجِفُّ الأَنينُ فوق شِفاهي   ويعودُ الزمانُ حُلْمًا جميــلا

ويعودُ الغَـــــديرُ يَطْفَحُ بالرِّ   يِّ وأَشْتَقُّ مُصَفَّقـاً سَلْسَبيلا

ويَقَرُّ الفؤادُ .. والطَّـرْفُ .. والشَوْ   قُ .؟ أَمِ الأَمْسُ لن يُطيقَ قُفولا؟

وَيْـلَكَ قلبي ! أَلَمْ تَزَلْ تَرْقُبُ الدهْـ   ـرَ وتَشْتـاقُه رَضِيًّا جَليلا ؟!

أَوما أَدْبَرَ الزمانُ وأَبــقىٰ   مِلْءَ جَنْبَيْكَ لَهْـــــفَةً وغليلا

أَولا تُبْصِرُ الرَّمادَ عـــــلى فَوْ   دَيْـكَ يَنْعىٰ شبابَكَ المأمولا ؟!

أَنا وحدي يا قلبُ أَحيا مع اليأْ   سِ ووحدي أُصارِعُ التَّعْليلا

في دَمي ثَوْرَةٌ سَتَحْطِمُ نَفْسي   قبلَ أَن تَحْـطِمَ المدىٰ المَجْهولا !

إيهِ يا ذكرياتُ ! قد هَمَدَ القَلْـ ـبُ فهل تَرْقُبين عنه بَديلا ؟
آهِ هيْهات أن يعودَ كما كا نَ وهيْهاتَ أن أكونَ بخيلا
سوف أبكي عليه ما طَلَعَ الفجْـ ـرُ وأَرْثي به الشبابَ القتيلا !
أنا وحدي هنا أُوَدِّعُ عُمْري فمتى تُزْمِعُ الحيــاةُ رَحيلا ؟
أنا وحدي أهيمُ في طُرُقِ الشَوْ كِ وأَجْني مَواجعاً ونُحولا
أرمقُ الأُفْقَ .. والرؤى فوق عَيْنَـ ـيَّ حيارى تَسْتَطْلِعُ المجْهولا
وأعُبُّ السمومَ من قَدَحِ اليأ سِ وأَسْقي جَناني المَتْبولا !
أنا وحدي أَصيحُ بالأَمَلِ المَيْـ ـتِ ! فيأبى عن المَنونِ نُكولا !
إيهِ مالي أُحِسُّ بالقلبِ يَعْيا وبِعَيْنَيَّ تَسْهُوانِ طَويلا
آنَ يا ذكرياتُ أن نَبْرَحَ الأرْ ضَ ! فكوني ليَ الغداةَ دَليلا !

١٩٤٧

قلق

طالَ انتظارُكِ فارقُدي ... وَوهى اصطبارُكِ فاشهدي
الليلُ يوشكُ أَن يجيـ ... ـئَ وما سكَنْتِ لِمَقْصِدِ !
يا نفسُ ! عَذَّبكِ الحنيـ ... ـنُ ونالَ منكِ تَلَدُّدي
وأَنا الذي زرَعَ النجو ... مَ وقالَ : يا نفسُ اُحصُدي
شَطَّ الخيالُ ! فلمْ أَجدْ ... غيرَ الدموعِ على يدي !
يا نفسُ ! ماذا ترْقُبيـ ... ـنَ وقد وعَيْتِ تنهُّدي ؟
أَخمدْتِ أحلامي وكنْـ ... ـتُ أظنُّهـا لم تخْمُدِ
قلبي الذي أسْعَفْتِه ... وتركْتِه في فَدْفَدِ
يحيا على قَيْظِ الهجيـ ... ـرِ ويستجيرُ بجلْمَدِ
جَحَدَ الترابَ ولو درى ... بمصيرِه لم يجْحَدِ

عاقبْتُـــه وقـــد استقا م... فهل رأيْتِ تمرُّدي؟
أنا ناقِمٌ تخشى الأضا لـعُ نِقْـمَتي وتشدُّدي
أمشي فـتزْدحِمُ الرؤى في مُقْـــلتيَّ وتعْـتَدي
سَـأمانُ تحْملُني الظنو نُ على جَناحٍ أسْـوَدِ
وتكادُ تخْبطُ بي الخُطى في كلِّ دَرْبٍ مُجْهَدِ
حتّى أكِلَّ منَ السُّرى وأمَلَّ كلَّ تَفَـرُّدِ!
يا نفْسُ! ماذا تأمُليـ ـنَ إذا تُركْتِ إلى غدِ؟
لو كنتُ أعْـلمُ ما أريـ ـدُ لَما رَأيْتِ تَرَدُّدي
أنا في الطريقِ مُحَيَّرٌ والهـفَتا لو أهْتَـدي
أخشى أمُدُّ يدي.. فألْـ ـفي الشوكَ تقْطِفُه يَدي
قارَبْتُ أنْ أقضي.. وحُلْـ ـمُ شَبيبَتي لم يُولَدِ!
يا نفْسُ! لو صدَقَ الزما نُ لكنتُ غيرَ مُقيَّدِ

ولَرُحْتُ أَغْفِـــرُ للحيا ... ةِ أثــامَ يومٍ أنْكَدِ
أنا في الشكوكِ أكادُ لا ... أَجدُ الرِّضا في مَـرْقَدِ
عَزَّ الشفاءُ من الأَسىٰ ... وظَلْتُ جِدَّ مُسَــــهَّدِ
تسْعى بيَ الحسَراتُ خَلْـ ... ـفَ سَــرابيَ المُتَجدِّدِ
ويصيحُ بي الظَّـمأُ اللَّهيـ ... ـفُ فــلا أفيءُ لمَوْردِ
أخشىٰ أَفِرُّ من الرؤىٰ ... فأضيعُ أَجْمَلَ مَـوْعِدِ !

☆ ☆ ☆

يا نَفسُ ! عَــذَّبَكِ الحنيـ ... ـنُ ونالَ منكِ تَلَدُّدي
في ناظِريَّ من الحيا ... ةِ بَقيَّـةٌ لم تَنْفَـــــدِ
أرْوي بهـا ظَمأَ المُنىٰ ... ومَرارةَ الزَّمَنِ الصَّدي !
لا .. لا تَشُطَّ بكِ الظنو ... نُ فما عَرفْتِ تَوجُّدي
أخشىٰ أرِقُ ثُمالَهَـــا ... فَيضِـجُّ من قلَقٍ غَدي !

١٩٤٩

ورقة ذابلة

بالله ! مَنْ حطّكِ فوقَ التُّرابْ   وأُستلِبَ النَّضْرَةَ من وَجْنَتِكْ ؟
ياورْقتي ! قد جفّ هذا الشَّبابْ   وَرَقَدَ الموتُ على صَفْحَتِكْ
والعُمْرُ وَهْمٌ والأماني سَرابْ   فكيفَ تبْكِينَ على خُضْرتِكْ !

☆ ☆ ☆

ياورْقتي ! مَنْ أَثْمَتْ راحتاهْ   فَراحَ يَنْقَضُّ على غُصْنِكِ ؟
أَعابدٌ يَكْشِفُ سِرَّ الحياهْ   أَم مُلْهَمٌ يَقْبِسُ من فَنِّكِ
أم عاشقٌ قد أَخْلَفَتْهُ رؤاهْ   فوَدَّ لو يُدْفَنُ في حُضْنِكِ !

يا وَرْقتي ! لم يَدْنُ هذا الخريفْ   إلاّ وأَنْتِ النَّبْتةُ الزائفهْ
رياحُه تَزْفُرُ ! يا للحُتوفْ   تَعْبَثُ بالأُمْنيَّةِ الراجفهْ !
أَخافُ أَن تَثْأَرَ منكِ الصُروفْ   وتَذْهَبَ الصيحةُ في العاصفهْ !

☆ ☆ ☆

يَدوسُكِ العابرُ ! يا للأثيمْ   كأنّه ليس يُحِسُّ الجمالْ !
أَليسَ في لَوْنِكِ لونُ النَّعيمْ   ومِلْءُ طَيّاتِكِ دِفْءُ الظلالْ ؟
يا وَرْقتي ! مَنْ للشقيّ الكليمْ   إنْ خَلَّفتْهُ الريحُ فوق الرّمالْ !

☆ ☆ ☆

أَوَدُّ لو تَنْبِضُ هذي الشفاهْ   وتَسْتَقي ماءَكِ من أَدْمُعي
أَوَدُّ لو أَسْكُبُ فيكِ الحياهْ   ويَغْتذي ضِلْعُكِ من أَضْلُعي
ويَرتوي عِرْقُكِ حتّى أَراهْ   لم يَفْقِدِ الرّيَّ ولم يُقْطَعِ !

والليلُ قد غُمّ ! وهذا الرّواقْ تَمُدّه الأَجْنِحــــةُ القاتِمَــهْ
يا هَوْله ! يُذْهِلُ تلك الحِداقْ وتَغْتَلي فيـــه الرؤى العاتِمَـهْ
كأنّه يَمٌّ عَتِيٌّ الــوَثاقْ ونحنُ فيه خُصَلٌ عائمَــهْ !

☆ ☆ ☆

وأنتِ في راحَتِيَ النّاحِــلَهْ يَؤودُكِ الصَّمْتُ فمــا تَنْبِسينْ
أَقْرأُ في صَفْحَتِكِ الحائِــلَهْ نِهايَةَ السِّفْــرِ الذي تَكْتُبينْ
كأنَّ دُنياكِ رؤىً زائِــلَهْ يَخْتَلِطُ الشّكُّ بهــا واليَقينْ !

☆ ☆ ☆

يا وَرْقَتي ! إنّي أَخافُ الظُّنونْ وأتَّقي الأَخْيِــــلَةَ الماكِرَهْ
أَخافُ أَن تَقْلبَ فيَّ اليقينْ فأَجِدُ القُبْحَ رُؤىً ساحِــرَهْ
أَخافُ أَن تُخْدَعَ هذي العُيونْ فَتَضْحَكُ الأَرضُ بنـا ساخِرَهْ !

يا وَرْقتي ! هل تَرْجعُ الذكرياتْ أَم يَذْهَبُ العُمْرُ وتُطْوىٰ مَعَهْ ؟
والأَمسُ ! والأَخْيلةُ الماضياتْ وغَدُنا ! والجَنَّـــــةُ الضائعَهْ
أَيَذْهَبُ العُمْـــرُ وتُطْوىٰ الحياهْ وروحُنا لاهِفَــــــةٌ جائعَهْ ؟ !

☆ ☆ ☆

ياوَرْقتي ! لم يَبْقَ إلاّ الصَّدىٰ يَئِنُّ في الأُفْقِ فهل تَسْمَعِينْ ؟
والبومُ يَنْعَقُ نُعَــــــاقَ الرَّدىٰ وأَنتِ مازلتِ له تَنْظُـــرِينْ
يا وَرْقَـــتي ! لابُدَّ أَن نَرْقُدا فأَسْامي الروحَ لمنْ تَعْبُـــدِينْ !

☆ ☆ ☆

باللهِ ! مَنْ حَطَّكِ فوق التُّرابْ واسْتَلَبَ النَّضْرةَ من وجْنَتِكْ ؟
ياوَرْقتي ! قد جَفَّ هذا الشَّبابْ ورَقَــــــدَ الموتُ على صَفْحَتِكْ
والعُمْرُ وَهْمٌ والأَماني سَرابْ فكيفَ تَبْكينَ على خُضْرَتِكْ !

١٩٤٧

فراق

أَنَبْأَةُ مَيْتٍ أَم أَنينُ مُفارِقِ
وزَفْرَةُ نارٍ أَم تَأَوُّهُ عاشقِ ؟

أُحدّقُ في الدنيا فأَفْرَقُ من دُجىً
يُظَلِّلُ أَيّامي ويوقِرُ خافِقي

فلا الليلُ نَدْيانٌ ولا البدرُ بازِغٌ
ولا النَّجْمُ في اللُّجِّ الوَضيءِ بغارِقِ

ولا القلبُ حَيٌّ يَشْرَئِبُّ لمُقْبِلٍ
ولا الروحُ ظَمْأى تَسْتَجيبُ لوامِقِ

مواكبُ أَيَّامٍ تَمُرُّ كئيبةً
مُرورَ ثَكولٍ فاقِدِ اللُّبِّ حانِقِ

تأمّلتُها سُوداً كأنَّ ظلامَها
رُواقُ جحيمٍ فاغرِ الشدْقِ حادِقِ
إذا رَمَقَتْهـا العينُ أَذْهَلها الأَسىٰ
فألقتْ على الآفاقِ نَظْرَةَ ضائقِ !

* * *

تركْتُكِ ليْلى ! لا رجاء أحِسُّـه
ولا بُرْءَ أرجو للهمومِ الطَّوارقِ
حياتيَ ماضٍ لا أُطيقُ فِراقَـه
فما زلتُ أحياهُ برَغْمِ الحقائقِ !
تركْتُكِ ميْتاً لا يُحِسُّ وجودَهُ
كأنْ خَطأً قد كانَ بين الخلائقِ
إذا طَرَقَتْ أُذْنَيْهِ وَسْوَسَةُ الدجىٰ
تَطَوَّحَ في لُجٍّ من الوهْمِ دافقِ

يُصَوِّرُ من أَوْهامِـــه كلَّ صادحٍ

فَيُبْصِرُ في أَيّامِـــه كلَّ ناعقِ !

غريبٌ ! كأنَّ الأَرضَ ليست بأرضِهِ

وأنَّ الفضاءَ الرَّحْبَ ليسَ بشائقِ

إذا ما أطَلَّ النجْمُ نَدَّ خيـالُه

وغَضَّ على حُلْمٍ من الأَمْسِ طارِقِ !

☆ ☆ ☆

أأَنتِ حياةٌ يا حياةُ ! أَمِ الرؤى

أَقامَتْكِ من وَهْمٍ خدوعٍ مُنافقِ ؟

وإلاَّ فما أَلْقاهُ منكِ ؟ وأَنتِ لي

ضَريحُ حُشاشاتٍ وقَــبْرُ مَواثقِ !

أأَنتِ حياةٌ أم شَـــقِيٌّ حَضَنْتُه

فَهَشَّمَ أَغْراسي ودَكَّ حـــدائقي ؟

وهل أَنتِ يا أَيّامُ غــيرُ قَوافِلٍ

تَخُبُّ إلى المجهولِ من غيرِ سائقِ !

أَضَعْتُ بها وَمْضَ الرجاءِ فأَقْفَرَتْ

رُؤايَ وغابَتْ في الظلامِ طَرائقي

تَلَفَّتُّ فيهـــــا أَسْتَشِفُّ شُعاعةً

تُضيءُ ولكن عُدْتُ عَوْدَةَ بائقِ !

ثَـكِلْتُكِ نَفْـسي ! لاأُحِبُّ لكِ البَقا

وعِفْتُكَ ياعَيْشي ! فلِمْ أَنتَ لاحِقي؟

ويامَوْتُ قد ماتَ الرَّجاءُ فَمُـرَّ بي

ويا روحُ قد حُمَّ الفراقُ ففارقي !

١٩٤٧

العودة

تلكَ أفياؤها يُهدهدُها الليـــلُ فتغفو قريرةً مَوهونَهْ !

تَغمُرُ الحيَّ بالظلامِ ! فتُطوى لجلجاتٌ .. وتستقرُّ سكينَهْ

يذهلُ الطرْفُ في مسالكِها السودِ ويهفو إلى الظلالِ الحزينَهْ

وحفيفُ الأوراقِ يسربُ في الأُذْنِ ويحدو إلى الفؤادِ أنينَهْ

وكأنّ الظلامَ سدْلٌ من الغيْبِ ! وفيه الديارُ غرقى دفينَهْ !

جئتُها والفؤادُ قد شفّه الشوقُ وأذكى نُواحَه وحنينَهْ

أنقّلُ الطرفَ في نوافذِها الدُّكْنِ وأرنو إلى رؤاها السّجينَهْ

وأنادي ! فيصرُخُ الروحُ لهفانَ وتصحو جراحُه المدفونَهْ :

إنّها دارُها ! فقِفْ أيُّها القلبُ ... ونادِ المواجعَ المكنونَهْ

وأبكِ عهداً حملْتَه بين جنبَيْكَ وأذكَيْتَ في حشاكَ شجونَهْ

إنَّها دارُها ! فلا تَرْفَعِ الصوتَ ولا تُقْلِقِ الرحابَ الأَمينَهْ !

هاهنا كانَ عالَمٌ يأسُرُ القلبَ ويُحْيي مَواتَه وفُتونَهْ

عالَمٌ تَعْبُرُ الظلالُ حواليْه وتَسْري المواكبُ الميْمونَهْ

شَوَّهَتْه الأَقدارُ .. فانْتثرَ الطَلُّ .. وماتَتْ زَنابقٌ مَفْتونَهْ

فهو كَهْفُ الرؤى .. ومَقْبَرَةُ الروح .. ونَعْشُ الهَناءةِ المطعونَهْ

وهو في أَدْمعي عُصارةُ حُلْمٍ بَدَّدَتْ راحةُ الزمانِ فُتونَهْ

وتَهاويلُ لَيْلَةٍ أبلَتِ العُمْرَ ودكَّتْ أفراحَه وظُنونَهْ !

* * *

عُدْتُ ليلايَ ! فاقْطفي الزَّنْبَقَ الغَضَّ وبُثّي على الطريقِ غُصونَهْ

واجتَني لي من الربيعِ شَذاهُ وخُذي لي من الصباحِ جَبينَهْ

وقِفي حيثُ تَعلمينَ ! فهذا موقفٌ كنتِ أَمْسِ لا تُنْكرينَهْ

ويحَ طَرْفي ! أُحِسُّ في فَمِكِ الرَّاجفِ صَوْتاً وَدِدْتِ لو تَخْنُقينَهْ

ما لعينيكِ تدمعان !؟ أسِرًّا أنتِ تُخفينَ أم أسىً تكتُبينَهْ ؟

ما تقولين ؟!.. يا لقلبيَ من دكِّ رؤاه ومَنْ أطالَ أنينَهْ ؟

أأنا قد طُرِدْتُ من جنّةِ الحُلمِ ومدَّ الدجى عليَّ دُجونَهْ ؟

أومات الهزارُ .. في فمه اللّحْنُ ! وحازَ الغُرابُ أروعَ زينَهْ ؟

وَيْلكَ يا قلبُ ! لا أقولُ لكَ اصبرْ .. لا ولا أسألُ الجِنانَ سُكونَهْ

ماتَ سُؤْلي وكانَ سِرَّ وُجودي كيفَ أوصيكَ أن يَلَذَّكَ دونَهْ !

☆ ☆ ☆

عُدْتُ ليلايَ ! عُدْتُ أنزفُ عَيْنَيَّ وأبكي على الرُسومُ الدفينَهْ

عُدْتُ .. والهفتاهُ لم يَعُدِ العُمْرُ ولم تُرْجعِ الحياةُ سنينَهْ !

قَذَفَتْ بي الأقدارُ .. فانهارَ الحُلْمُ .. ورَثَّتْ صَحائفٌ مَيْمونَه !

عُدْتُ ليلايَ ! فاذكري أنّي عدتُ .. وقولي ألا تعودُ السكينَهْ ؟

بُحَّ صوتي ! ولستُ أسْمَعُ إلاّ نبأً من هوايَ لا تجْهلينَهْ

صوتُ ماضِيَّ .. صوتُ أيّامِنا الحيُّ .. وبُقْيا هَواجِسٍ مَكْنونَهْ !
إيهِ ليلايَ ! أين حُلْمُ الليالي أين هَدْيُ الحياةِ أين السفينَهْ ؟
ضَلَّ فُلْكي وتاهَ في العَيْلمِ الغَمْرِ فوارْحمتاه ! هل تتركينَهْ
يضربُ الموجُ جانبَيْهِ فَيَلْويهِ ويرْمي على الصخورِ مُتونَهْ
أينَ رُبّانُه لقد غُمِّضَ الأفْقُ ... وهاجَتْ عواصِفٌ مَجْنونَهْ
أين شطٌّ يَقيهِ زَمْزَمَةَ الرعْدِ ويُلْقي على العُبابِ رُكونَهْ
أين رُبّانُه فقد كادَ يودي أين رُبّانُه .. ألا تذْكرينَهْ ؟
إيهِ ليلايَ ! لا يَغُرَّكِ قلبٌ مزَّقَتْ طَعْنَةُ القضاء وتينَهْ
عَبَثًا تنظرينَ نَظْرَةَ إشْفاقٍ ! فلن تُرْجِعي الغَداةَ يَقينَهْ
إنّه ماتَ ! فاتْرُكيه مُسَجّى يَمْلأُ الشوقُ روحَه وعُيونَهْ
واذكري أنّه أحبَّكِ ماعاشَ ! وقولي للغيْثِ يَنْفَحُ طينَهْ
وابكي ثَمَّ دَمْعةً ! ثُمَّ سيري .. لا تُبالي إذا وَعَيْتِ أنينَهْ !

١٩٤٧

زفرة يأس

نَفَضَتْ أَخْيِلَةُ الليلِ عن القلبِ رُؤاهُ
وتلوّىٰ اليأسُ في عَيْنَيَّ وأُظلِمَّ دُجاهُ !

يَقْظَةٌ حَطَّتْ على القلبِ فَضَجَّتْ رِئتاهُ
وأُرتِمَتْ في جَفْنِهِ المُتْعَبِ أَطيافُ صِباهُ

فإذا بالأَمْسِ أَشواقٌ مُدَمّاةٌ وآهُ
وإذا الغَفْلَةُ في العينِ حنينٌ وانتباهُ !

يا لِيأْسٍ صَبَغَ العُمْرَ ! فحالَتْ صَفْحتاهُ
يُشْفِقُ القلبُ عَلَى أَشلائِهِ حينَ يراهُ

هَدَّ دنيايَ وأَوْدَتْ بالغَدِ الحيِّ يداهُ
ورأىٰ الحُلْمَ الذي آثرَ قلبي فَمحاهُ !



رَحْمَـةً أَيَّتُها النَّفْسُ ! فقـد طالَ عَذابي

أَنا في غَمْـرَةِ بَـلْوايَ وغُمَّاتِ مُصابي

أَمْزُجُ الدمعَ الذي أَذْرِفُ بالقلبِ المُـذابِ !

لَمْ يَعُدْ في قلبيَ الموحِشِ شَيْءٌ من رِغابي

كلُّ ما أُبْصِرُ في دنيايَ مُفْضٍ للسَّرابِ !

السُّرىٰ طالَ ! وهذا الليلُ لا يَعْلَمُ ما بي

أَيَّ شَيْءٍ صَنَعَ الدهرُ بكأسي وشَرابي ؟

تَرَكَتْني سَوْرَةُ اليأسِ أغانيَّ عَذابِ

تصْرُخُ اللَّهْفَةُ في عِرْقي وتبكي في إهابي

كُلَّما أَسْكَتُّها .. ضَجَّ من السُّخْطِ شَبابي !



أَأَنا يا لَيْلَ ! أَمْ هذا خَيالُ الذكرياتِ
يَبْعَثُ الأَمْسَ الذي مَرَّ ويُذْكي خَفَقاتي !
والمُنىٰ البِيضُ على كَفَّيَّ أَشْلاءُ رُفاتِ
يَنْقُلُ الدهرُ عليها خُطَواتٍ حَذِراتِ
كُلَّما مَرَّ بها .. مَرَّ بِخَوْفٍ وأَناةِ
نازِفًا فوقَ بَقاياها أَضاليلَ حياتي !
رَبِّ ! مَنْ سَوَّدَ دنيايَ ومَنْ قَيَّدَ ذاتي ؟
مَنْ تُرىٰ غَلَّ أَمانيَّ ومَنْ كَمَّ شَكاتي ؟
أَنا في ثَوْرَتيَ البَكْماءِ أَبكي أُمْنِياتي
وأُحِسُّ القَلَقَ المَحْمومَ يَجري في لَهاتي !



لا تلومي ! ذَهَبَ الدهرُ بإيماني وشكّي

لَمْ أعُدْ أَحْفَلُ بالصدْقِ ولا أصْغي لإفْكِ !

جاعَ عُمْري ! فمضى يَلْتَقِفُ بلْوايَ وضِحْكي

وجرى بي الفُلْكُ في اليَمِّ فهَدَّ الموجُ فُلْكي !

أَنا طيْرٌ خَنَقَتْ أَنْغامه طَعْنَةُ هُلْكِ

ماتَ إلاّ خَفَقاتٍ لَمْ تَزَلْ تَسْأَلُ عنكِ

وصِبًا مُضْطَرِمُ الأنفاسِ مَخْنوقُ التَشكّي

حائرٌ يَفْتِكُ بالعُمْرِ .. ولكن أيَّ فتْكِ !

مَزَّقَ الحُلْمَ الذي عِشْتُ وما رَقَّ لنُسْكي

وضَفا السِّتْرَ عليه فتوارى .. وهو يبكي !

١٩٤٨

أشواق

ذَكَرْتُ الأَمْسَ ! فانْتَفَضَتْ رُؤاهُ فوقَ أَحداقي
تَلوبُ على شَبابِ مُنىً وَقَفْتُ عليه أَشواقي !
ومَرَّ الطيْفُ في قَلَقٍ فَحَدَّقْتُ بإِشْفاقِ
ورُحْتُ أُقَلِّبُ الطَّرْفَ وراءَ خَيالِه الباقي
يَكادُ يُحَدِّثُ النَّفْسَ حَديثَ المُشْفِقِ الواقي
ويَنْقُلُني إلى أُفُقٍ أُطيلُ عليه إِطْراقي
وتَخْفِقُ فيه أوهامي وتَشْرُدُ فيه آماقي
وأُصْغي فيه للشَّوْقِ الـذي يَمْلأُ أَعْماقي !

ذَكَرْتُ الأَمْسَ ! فالْتَفِتي   فقـــد دارَيْتُ إمْلاقي !
رياحُ الليـــلِ لن تَنْشُـ   ـرَ عنـــد الفجْرِ أوراقي
ولن تَقْتُلَ أحـــلامي   ولن تَفْضَحَ إخفـــاقي
فكمْ أَهْرَقْتُ من كأسٍ   وكمْ أغْضَبْتُ من ساقي
وكمْ راوَدْتُ من حُلمٍ   ـثَرِيّ اللَّمْحِ بَرّاقِ
أَهَبْتُ به أســـائلُه   فغابَ وراءَ أحـداقي !

☆ ☆ ☆

مَكانَكَ أيُّهـــا الدهرُ   فلن أنْقُضَ ميثـــاقي
فكيفَ تَدورُ بي الدنيا   إذا ضَيَّعْتُ أشـــواقي !

١٩٤٨

الشبح الزائر

لا تُغمضي الجفنَ ولا تفرَقي — فليس في ليلِيَ ما أتّقي
لي النجمُ أستنطِقُ أسرارَهُ — ولي طُروقُ الحُلُمِ الشيّقِ !
لا تُغمضي الجفنَ ! فإنَّ الدجى — يحملُ من ماضيكِ ما قد بَقي
مواكبَ الزَّهْوِ ، ودَفْقَ الهوى — وأنَّةَ المُعْتَلِجِ المُرْهَقِ !
والنَّجمُ كالحُلْمِ : خَفيُّ السُّرى — قد غاب في الغَيْمِ ولم يَغْرَقِ
ناشدْتُه الأمسَ ... وماذا لَقي ! — إنْ كان قد راحَ .. فهل نَلْتقي ؟
يا عينُ ! قد حِرْتُ وهذي الرؤى — تَقْذِفُ بي في لُجِّها المُغْرِقِ
إخالُها تَنفُضُ أطيافَها — فوق ضَبابِ الأُفُقِ المُغْلَقِ !
يا عينُ ! هذا شَبَحٌ في الدجى — يُومِىءُ أَنْ هُبَّ ... فلا تَخْنُقي
أخافُ أن يَحْسَبَ بي جَفْوةً — فيتركُ الدارَ ولم يَنْطِقِ !

يا طيفُ ! من أَنتَ ؟ وما غَضْبَةٌ خرساءُ في ثغرِكَ لمْ تُعْتَقِ ؟
قد هَدَأَ الليلُ .. فقُلْ ما تَشا : والكونُ قدْ نامَ .. فَمَنْ تَتَّقي ؟

الشبح

أَتَسْأَلُني ما اُسْمي ولِمْ أنا غاضبٌ
وقد أَدْرَكَتْ عيناكَ كُنْهَ تَجَهُّمي ؟ !
أَنا القَدَرُ القاضي ! وأَنتَ الذي طَغَىٰ
فلمْ يَرْضَ بي رأيَ القضاءِ المُحَكَّمِ

أنا

أأَنتَ ! أم الوحشُ الذي صِيغَ عِرْقُهُ
منَ الأَلَمِ الذبّاحِ والدمعِ والدمِ
نَذوقُ على كفَّيْكَ نَزْفَ جراحِنا
ونَمْزُجُ من فيكَ الزُلالَ بِعلْقَمِ !

الشبح وأنا أحاول الانصراف

مكانَكَ يا هـذا ! فلستَ بِمُبْصِرٍ
سِـــوايَ أنا !

أَنا بألم

يا لَلقضاءِ المُحَتَّمِ !

الشبح

أَتبكي ! ؟

أَنا

أَجَلْ أَبكي ! وأَبكي ملاوَةً
من العُمْرِ لَمْ تُزْهِرْ ولَمْ تَتَنَعَّمِ
قَذَفْتُ بها للظامئاتِ من الرؤى
فلم تُبْقِ منها غيرَ بَعْضِ تَوَهُّمِ

ظَنَنْتُ الزمانَ الوَحْشَ يذهبُ جوعُه

إذا هو أَوْدىٰ بالصِّبا المُـتَقَدِّمِ

فمـــا نالَه حتّى أطَـــلَّ بِنـابهِ

لِيَـلْقَفَ أَنْفاسي ويَنْـثُرَ أَعْظُمي !

الشبح

أَتبـكي ؟ !

أنا

أَجَلْ أَبـكي ! وأَبـكي على غَدٍ

ذَبَحْتُ له عُمْري وقلتُ له : أَنعَمِ

سأَقطِفُ فيـــكَ الأمنياتِ جَنِيَّةً

وأَمْحـو براحاتِ النعيمِ تَجَهُّمي !

الشبح

أتبكي! وما يُبكيكَ؟

أنا

دهرٌ بَلَوْتُه فكانَ ليَ الظُّفْرَ الذي لمْ يُقَلَّمِ

وعهدٌ تَنَظَّرْتُ النعيمَ خِلالَه

فلمْ أرَ فيه غيرَ بَرْحٍ مُخَيِّمِ

ويأسٌ أذاقَ القلبَ ما قد أذاقَه

وألقاهُ في جَوْفٍ من الأرضِ مُظْلِمِ

وأصبحتُ في وادٍ تَصِرُّ رياحُه

وتعْصُفُ بالعُشْبِ الفتيِّ المُنَمْنَمِ

كأنَّ يداً هوجاءَ قَصَّتْ غِراسَه

وأوْدَتْ بساقيه الحفيِّ المُتَيَّمِ

أُقلِّبُ طرْفي في الفضاءِ فلا أرىٰ

سوىٰ أَمَلٍ بالٍ وحُلْمٍ مُهَدَّمِ !

الشبح

أَدُنْياكَ هذي ! يا لَفَجْرٍ طَمَسْتَهُ

وكنتَ له في رِقْبَةٍ وتَوَسُّمِ

لقد أَرْجَعَتْ كفّايَ كلَّ غمامةٍ

أَزَحْتَ . . . وكادَتْ للصباحِ المُنَمَّمِ !

حَنانَيْكَ ! إنِّي لا أَوَدُّ لكَ الأذىٰ

حَنانَيْكَ ! إنِّي لا أُطيقُ تَندُّمي

أَتوبُ .. وإنْ لمْ يُجْدِ تَوْبٌ ولا أَسىً

فكُفَّ عن اليأْسِ المريرِ المُحَطِّمِ

ولو كنتُ أدري أيَّ حِسٍّ مُعَقَّدٍ
وأيَّ شُعورٍ أنتَ .. لمْ أَرْمِ أَسْهُمي !
ولكنَّني أَتْرَعْتُ فاكَ مَرارةً
فيالِيَ من باغٍ عَتيٍّ مُذَمَّمِ !

* * * * *

وانتفضَ الطيفُ ! فإذْ دَمْعَةٌ تَجولُ في مَحْجِرِهِ الغائرِ
أَلْمَحُ في رَقْراقِها لَذعةً من لَذَعاتِ النَّدَمِ الظافرِ !
نادَيْتُ .. واليأسُ يُميتُ الرؤى في جَفْنيَ المُسْتَسْلِمِ الحائرِ :
قد كنتُ يا طيفُ أَحُثُّ الخُطى عن عَتَباتِ الأَلَمِ القاهرِ
وأَرْقُبُ الآمالَ فَيَّاضةً وأَنْزِعُ الكُدْرَةَ من خاطِري
لو كانَ للأَمْسِ لنا رَجْعَةٌ والأَمْسُ لا يَرْجِعُ يا زائري !

١٩٤٨

الأغنية الأخيرة

يَدايَ على الوَتَرِ الطَّيِّعِ فلا تَنفُري منه أَو تجْزَعي
لقد أَسْكَتَتْهُ عَوادي الحياةِ وشَلَّتْ نَوائبُها إِصْبعي !
أَنا تائهٌ في شِعابِ الوجودِ أُفَتِّشُ عن أُفُقٍ أَوْسَعِ
أُفَتِّشُ عن نَغَمٍ لا يموتُ وأَبْحَثُ في الأَرضِ عن مَضْجعِ
أَقَرُّ به من كَلالِ الحياةِ وأَنجو من العَدَمِ المُفْزِعِ !
أَأَسْكُتُ يا لَيْلَ ؟ إِنَّ الضلوعَ تَصُكُّ بأَنّاتِها مِسْمَعي
يُخَيَّلُ لي أَنَّها تَسْتَغيثُ بِنَبْرَةِ باكٍ ومُسْتَضْرِعِ !
وفي شَفَتَيَّ بَقايا رُؤىً تَساوَقُ في نَغَمٍ موجَعِ
أَوَدُّ لها أَنْ تَتِمَّ الحياةُ على وَقْعِها الآسرِ المُبْدِعِ

فتُمْسِكُها غُصَّةٌ في الفؤادِ وتَخْنُقُها فَوْرَةُ الأَدْمُعِ
وأكْتُمُها ! يا لَظُلْمِ القَضاءِ وأَزْجُرُها وأَنا لا أَعي !

* * *

أَليلايَ ! كيف تَقَرُّ الظنونُ وقد نَفِدَ الماءُ من أَرْبُعي
هَوايَ هَوايَ مُنىً تَشْرَئِبُّ فَيَقْتُلُها ظَمَأُ المَوْضِعِ
تَفِرُّ إلى الفمِ تَشكو الهوانَ فترجِعُ بالرَّهَقِ المُفْجِعِ !
وفي كَبِدي حَسْرَةٌ لا تَقَرُّ ولكن تُغالِبُها أَضْلُعي
تكادُ إذا اضطرمَتْ في الفؤادِ تصيحُ بها الكبرياءُ : ارجعي !
أَنا الليلُ - يا لَيْلَ - أَطوي الضلوعَ على غَسَقٍ دامِسٍ مُفْزِعِ
تُعَرْبِدُ فيهِ ظلالُ الجحيمِ وتَزْحَمُ أَشْباحُها مَخْدعي
وأَشْهَدُ في رُكْنِهِ المُدْلَهِمِّ مَصارعَ أَحْلاميَ الهُجَّعِ
وأَلْمَحُ أَشواقيَ الباكياتِ تَنوحُ على قلبيَ الموجَعِ

وأَسْمَعُ فيه أُحتِضارَ الأَمانِ على صَخْرةِ القَلَقِ المُفْظِعِ
مَآسٍ أُكَبِّلُها في الفؤادِ ويُطْلِقُها اليأسُ في أَدْمُعي
تَفيضُ بها النفْسُ! يا لَلخِضَمِّ تَضيقُ بأَمواجِه أَضْلُعي!

☆ ☆ ☆

وإنِّي لأَسْعىٰ خِلالَ الظلامِ على ذلكِ الجَدَدِ المُمْرِعِ
أُهَدْهِدُ أَنفاسيَ اللاهِثاتِ وأَهْزَأُ بالزَّمَنِ المُسْرِعِ
أُسائلُ دُنيايَ: فيمَ الحياةُ ومِمَّ نَخافُ وماذا نَعي؟
أَتَذْهَبُ أَيَّامُنا الباقياتُ أَلَمْ تَمْضِ قَبْلُ ولَمْ نَجْزَعِ؟!
فَراغٌ هو العُمْرُ: لا شَيْءَ فيه فماذا وراءَ الفضاءِ الدَّعي!؟
وأمضي إلى غيرِ ما غايةٍ وأُصْغي إلى الكوكَبِ المُزْمِعِ
إلى أَن تفيضَ بيَ الذكرياتُ وتَمْلأَ أَطيافُها مَدْمَعي
وأَسْمَعُ خَطْوَكِ كالأُغْنياتِ على قلبيَ المُرْهَقِ المولَعِ

وأُبْصِرُ مِلْءَ الرؤى والحيــــاةِ   خَيالَكِ — يا لَيْلَ — يَسْعىٰ مَعي

يُكَفْكِفُ عَـبْراتيَ الجـاريــاتِ   ويَفْـــتَرُّ في وَجْهيَ الأَسْفَـــعِ

وأَلْمَحُ في فَمِـــــهِ بَسْمَــةً   أَكادُ أُكَلِّمُهـــــا لو تَعي !

وتَسْـــأَلُني شَفَتَـــــاهُ المَـزيدَ   ويَهْتِفُ بي الجفْنُ : لا تَقْنَعِ

فأُمْسِكُ أَوْتاريَ الناحِبـــاتِ   وأَحْنو على كَبْدِيـَ الموجَعِ

لأَنْثُرَهُ فِـــلْذَةً فِـــلْذَةً   وأَصْــدَحَ بالنَّغَمِ المُمْتِـــعِ !

١٩٤٨

قُبَيْل الوداع

أَتَقْنَعُ بالذكرىٰ وما كنتَ تَقْنَعُ
ويَشْغَلُكَ الدهرُ الغَبِيُّ فَتَخْنَعُ
وتأْمُلُ أَنْ تحيا وقد ذَهَبَ الصِّبا
وأَقْفَرَ قلبٌ واُسْتَكانَ تَطَلُّعُ !
أَتَقْنَعُ بالذكرىٰ وقد أَزِفَ النوىٰ
وأَنَّ بِجَنْبَيْكَ الفؤادُ المُرَوَّعُ
حَياتُكَ أَوهامُ السَرابِ لَقِفْتَها
وأَيُّ سَرابٍ لا يُثيرُ ويَخْدَعُ ؟
فماضٍ تَقَرُّ العينُ فيه وتَرْتَعُ
ويومٌ يَنوءُ القلبُ منه ويَجْزَعُ

وما مِنْ غدٍ ! إنّ الزمانَ الذي طَغىٰ
أبىٰ أن يرىٰ لي مِنْ غـدٍ يُتَوَقَّعُ !
هُناكَ طريقُ الريحِ ، والعُمْـرُ قَفْرَةٌ
ودَمْعُكَ فَيْضٌ ، والحُشاشَـةُ بَلْقَعُ
تحَـدِّقُ في رُحْبِ الفضاءِ فلا ترىٰ
سوىٰ الذِكَرِ البيضِ التي تَتَطَلَّـعُ
تُنازِعُني يومي ! فَتَنْتَـــثِرُ الرؤىٰ
ويَـبْرُزُ لي الأمْسُ القريبُ ويَطْلُـعُ
مَواكبُ لَمْ يَسْـلُ الفؤادُ جلالَها
ولَمْ يَخْبُ شوقٌ أو يَكُفَّ تولُّـعُ
رَبيـــعٌ تَتيهُ العينُ في بَهَجاتِهِ
وتَطْلُـعُ فيه الأمْنيـــاتُ وتُمْـرِعُ

نَثَرْتُ على طولِ الطريقِ نُفاحَه
فوا لَهْفتاهُ لو يُعادُ ويُجْمَعُ !
خيالٌ من الماضي يكادُ إذا حَنا
تَبَشُّ رُؤاهُ ثُمَّ يَعْتو فَيَرْجِعُ
يُغَمْغِمُ بالشوقِ الحبيسِ ويَغْتَلي
فَتَطْفُرُ عَبْراتٌ وتَخْفِقُ أَضْلُعُ !
نِداءٌ من الأَعماقِ يَحْفَلُ بالرؤى
ويَدْفُقُ بالشَّجْوِ العميقِ ويَنْبُعُ
يُصَوِّرُ من غُرِّ العُهودِ التي مَضَتْ
صَحائفَ لا تَبْلى ولا تَتَصَدَّعُ
إذا رَمَقَتْها العينُ أَذْهَلَها الأَسى
وكادَتْ من الشوقِ المُلِحِّ تَقَطَّعُ !

فَدَيْتُكِ ! من يُحْيي الرجاءَ إذا قَضى
ومن يَغْرِسُ الوُدَّ العميقَ ويَزْرَعُ
ومن يَجْتَني زَهْرَ الحياةِ إذا زَهَتْ
وأَشْرَقَ في الروْضِ الربيعُ المُرَصَّعُ ؟
ذَهَبْتِ وقد رَفَّتْ سَنابِلُ حَقْلِنا
فعاوَدَها يَبْسٌ وكَفَّ تَرَعْرُعُ
هِيَ اليومَ أَكْوامٌ يَسوقُ لها الأَسى
فراغُ الليالي والنُواحُ المُرَجَّعُ
تُبَعْثِرُها ريحُ الخريفِ إذا غَدَتْ
ويَضْرِبُها الليلُ المَخوفُ ويَصْفَعُ
أَمُرُّ بها أَسْوانَ مُعْتَلِجَ الحَشا
فَأَسْمَعُ منها فوقَ ما كنتُ أَسْمَعُ

تُسائلُني والنــارُ تَزْفُـرُ في دمي

وقلبيَ مَجْنونُ الـرِّغابِ مُوَجَّـعُ :

أَأَجْفِلُ بلا ذَنْبٍ وأُتْرَكُ في العَـرا

يُرَوِّعُني قُـــرٌّ وتَنْــثُرُ زَعْزَعُ ؟

زَرَعْتَ لكيْ تَجْني ! فَمَنْ لَمَسَ الثرىٰ

فجَفَّتْ أَزاهــيرٌ وماتَ تَضَوُّعُ ؟ !

حياتيَ ! أَنتِ الليــلُ أَجْزَعُ ما بَدا

وأَنتِ المــآسي والحِمـــامُ المُقَنَّعُ

أَخافُ إذا سالَمْتُكِ الْجُبْنَ والرِّضا

يَقَـرّانِ في النفْسِ الصَّبورِ فَتَخْنَعُ

وأَفْرَقُ من قلبٍ يُلِحُّ عذابُه

عليه .. فلا يَعْنو ولا يَتَجَــزَّعُ

يَفُتُّ تُرابَ الأَرضِ كي يَغتَذي به
ويَكرَعُ من فَيْضِ الدموعِ ويَجْرَعُ !
أليلايَ ! لا تُغْضِبْكِ أَنَّةُ خافِقٍ
يكادُ إذا مَرَّتْ به الريحُ يَخْشَعُ
لَهيفِ الحشا يبكي إذا ذَكَرَ الصِّبا
وأَيْقَنَ أَنَّ العُمْرَ سوف يُضَيَّعُ
لقد سَلَبَتْه الحادثاتُ نَعيمَه
وأَيُّ نعيمٍ بعد حُبِّكِ يَنْفَعُ ؟
هَوانا وَليدٌ لن يَموتَ وإنْ قَسَتْ
عليه الليالي فهو يَقْظانُ مُتْرَعُ
سَيَقْتاتُ بالذكرى إذا خَشِيَ الطوى
ويَهْصرُ أَثْداءَ السماءِ فَيَرْضَعُ !

فؤاديَ قُلْ لي مَنْ مَلاذُكَ في غَدٍ
إذا اسودَّ ليلٌ أو تَقَلْقَلَ مَوْضِعُ
ومَنْ يَلْمُسُ القلبَ الجريحَ براحِه
فَتَخْفتُ أَنّاتٌ ويَهْدأُ موجَعُ ؟
غداً تَفْقِدُ الدُّنيا رُواءَ حياتِها
فأَيَّ طريقٍ بعدها سوفَ تَتْبَعُ ؟
سَتَفْتَقِدُ النُعْمىٰ وتَلْتَمِسُ الهُدىٰ
وتَصْرُخُ بالنجْمِ البعيدِ وتَضْرَعُ
وتَرْقُبُ من لَيْلاكَ فَيْءَ حنانِها
فلا أنتَ تَلْقاهُ ولا الشوقُ يُدْفَعُ
تُسائِلُ : لِمْ بانَتْ ولِمْ أَزِفَ النوىٰ ؟
ومن يَدِها تُعْطىٰ الحياةُ وتُمْنَعُ

رُؤىً كنتَ تحياها فما أنتَ صانعٌ
إذا ما خلا منها الفؤادُ المُوزَّعُ ؟
وكنتَ إذا ما أَخْلَفَتْكَ لُبانَةٌ
ولَفَّكَ ضافٍ من رُؤاكَ مُفَزَّعُ
رأَيْتَ سُكونَ النفْسِ في نَظَراتها
وأَبْصَرْتَ رَكْبَ اليأسِ كيفَ يُشَيَّعُ
وكنتَ إذا لاحَتْ تَبلْتَ من الهوىٰ
وكدْتَ من البَرْحِ المُمِضِّ تَصَدَّعُ
وكنتَ وكانَتْ ! والفراقُ وَساوِسٌ
يُراعُ لهَا القلبُ الشَجِيُّ ويَجْزَعُ
وقد كنتَ تبكي والديارُ قَريبةٌ
فكيفَ يكونُ الدَّمْعُ حينَ تُودِّعُ ؟!
١٩٤٨

على الطريق

وَقفْتُ عَلَى الدَّرْبِ أَشكو الضَّجَرْ   وأَخْشىٰ المُضِيَّ وأَخْشىٰ القَــدَرْ
وأَسْأَلُ عنْ مَوْعِدٍ للحيـاةِ   أُوَدِّعُ فيهِ ضَـــلالَ البَشَرْ !
وَقفْتُ ! فيا لَلطريقِ الغَويِّ   يُذِلُّ الرِّقابَ ويُغْريـ الزُّمَرْ
مشيتُ عَلَى شَوْكِهِ في الظلامِ   فَمِمَّ أُراعُ وفيمَ الحَـذَرْ ؟
لقد خَلَّفَ الأَمْسُ في ناظِريَّ   حُطامَ مُنىً وبقـايا ذِكَرْ
تلوذُ الظُّنونُ بها والرجاءُ   ويَذْكو الأُوارُ ويَزْهو الشَّرَرْ
فأُقْدِمُ عَلَّ الفؤادَ الشَّقِيَّ   يُلَمْلِمُ من زَهْرِهِ ما انتَثَرْ
وأُحْجِمُ عنه حِذارَ الغروبِ   يُبَـدِّدُ تلكَ الرؤىٰ والصُّوَرْ !
فَلاةٌ تَتيـهُ بهـا مُقْلَتايَ   وتوغِلُ بي في عُبابِ الفِكَرْ
أَخافُ أَضِـلُّ ! فَتَعْيا الخُطىٰ   ويَضْوىٰ الإهابُ ويَعْشىٰ البَصَرْ

فـي ناظري لَهْـــفَةٌ تَشْرَئِبُّ ... وفي أَضْلُعي مُهْجَـــةٌ تُعْتَصَرْ
وفي شَفَـــتي زَفْرَةٌ تَغْتَـــلي ... وتبكـي تفاؤلي المُحْتَضَرْ !
تُرىٰ هل أَضَعْتُ الطريقَ السَّويَّ ... وأَوْغَلْتُ في ظُلُماتِ الكِبَرْ ؟
أَوَلّىٰ زمانُ المنىٰ . والغناء ... وأَقْفَرَ دَرْبُ الندىٰ والزَّهَرْ
وماتَ الشذىٰ في الربىٰ واليَفاعِ ... وجاسَ الخريفُ خِلالَ الشَّجَرْ
أَمِ القلبُ شاخَ .. فما يَزْدَهِيهِ ... نِداءُ الحياةِ وزَهْوُ الظَّفَرْ !

* * *

وَقَفْتُ على الدَّرْبِ منذُ الصباحِ ... أَجوبُ الثرىٰ وأُجيلُ النَّظَرْ
وها قد وَنَيْتُ وحَلَّ المساءُ ... وضاقَ الفضاءُ وغامَ البَصَرْ
وما زلتُ أَطوي سِنِيَّ العِجافَ ... وراءَ خيالٍ شَحيحٍ حَذِرْ
وما زلتُ ثَمَّ أَمُدُّ اليدَيْنِ ... وأَصْرُخُ : رَبِّ متىٰ أَسْتَقِرْ ؟
وما زلتُ أَخشىٰ عِثارَ الطريقِ ... وأَخشىٰ الضجيجَ وأَخشىٰ القَدَرْ
وما زلتُ أَسْتَنْطِقُ العابرينَ ... وأَرنو إلىٰ المَوْعِدِ المُنْتَظَرْ !

١٩٥٠

فهرس